

رُوزْ غَرِيبْ

مَعْهَدُ الدِّرَاسَاتِ النِّسَائِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ  
كَلِيَّةُ بَيْرُوتِ الْجَامِعِيَّةِ

مِحْطَةُ زِيَادَةِ

التَّوَحُّجُ وَالْإِفْوَاجُ

حَيَاتُهَا - شَخْصِيَّتُهَا - أَدَبُهَا - فَنُّهَا

مُؤَسَّسَةُ نَوْفَل













محيّة زيادة ،  
النوهج والأفول







رُوزْ غَرِيبْ

مَعَهْدُ الدِّرَاسَاتِ النِّسَائِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ  
كَلِيَّةُ بَيْرُوتِ الْجَامِعِيَّةِ

مِحْنَةُ زِيَادَةِ

التَّوَحُّدِ وَالْأَفْوَكَ

حَيَاتُهَا - شَخْصِيَّتُهَا - أَدَبُهَا - فَنُّهَا

مَوْلا سُلَيْمَةُ نَوْفَل  
بَيْرُوت - لُبْنَان



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٧٨

© مؤسسة نوفل

شارع سوريا - بنّاية حمّدي وصّالمة - تلفون: ٢٥٣٣٠٣ - ص.ب: ١١-٢١٦١ بيروت - لبنان



# مقدمة

« النوايا أفراد اختارته الحياة لإدراك وسط يعيشون فيه ، والوصول إلى أقصى رغائبه وألبس نزعاته . فهم بذلك أقرب من سواهم إلى أغوار الروح الانسانية ، وأسرع فهماً لحركاتها وخصائصها ، وأبرع حذقاً في التعبير عنها . وتقوم كل أهميتهم باتصالهم المتين بالفكر الشامل ، الدائم الابداع ، وكأن قلب الانسانية العظيم ينبض الوقت بعد الوقت في قلوبهم الصغيرة ، فيظل صدى نبضاته متردداً في صرير أعلامهم (١) » .

بهذه الكلمات تعرف مي الأدباء الذين طمعت إلى الانسلاخ في صفوفهم . وإن كاتبة بلغ فهمها للتبوع الأدبي هذا المستوى من الرفعة لا يبدو هيئاً الولوج إلى أعماق نفسها وتحليل نتائجها وتقييمه . على أني في هذه المحاولة اهتمت بخبرتي السابقة في النقد وبمؤلفات من سبقوني إلى درس مي . واعتمدت مبادئ يميل إلى إهمالها بعض كتاب السير والأبحاث الأدبية ، منها التمييز بين

---

(١) مي زياده ، « كلمات وإشارات » ، مؤسسة نوفل - بيروت ، ١٩٧٥ .



الحقائق والنظريات ، بين ما هو واقعي مرتكز على البرهان وما يقع في دائرة الظنون والآراء التقليدية الشائمة . وفي درسي لنتاج مي ، وازنت بين الأفكار والأسلوب فلم أهمل الواحد في سبيل الآخر .

ولا أقول اني في هذه الدراسة بلغت الغاية التي أصبو إليها . فالنقد الأدبي موضوع تختلف فيه المذاهب والآراء . ويحاسبه تطورات يحاول فرضها عليه تطور العصر والثقافة . إلا أنه رغم ما يعترضه من صعوبات ، يظل بفضل القواعد العامة الكلاسيكية التي ما زالت تبسط عليه سلطانها ، أقرب مسلكاً من نقد الشخصية التي تظل موضوع اختلاف ومثار غموض ، منها تعددت الوسائل التي تبسّفتنا على استجلائها . وليس جديداً قول فرويد وسواه من علماء النفس ان الأديب والفنان ، بل كل إنسان في الوجود ، يحيا حياتين : باطنة تحتوي شخصيته الحقيقية ، وظاهرة تعبّر عن شخصيته المصطنعة التي تقولبها الظروف والمواضع . ونتاج الأديب او الفنان لا يرينا دائماً حقيقته أو شخصيته المكبوتة ، رغم التأكيدات التي يطلقها الباحثون حول الموضوع . إن كثيراً مما يقوله الأديب إنما يعبّر عن المثل العليا أو عن الرؤى المثالية التي يطمح إليها ولم يقدر على تحقيقها . أو يعبّر عن رغبته في تقصّي أحوال بيئته والسعي لإصلاحها وتطويرها وتبنيّ أحلامها وتطلّعاتها أو مسامرة ميولها واتجاهاتها . وهذا ما يبدو خصوصاً في الأدب الذي تغلب عليه الموضوعية ويتجه اتجاهاً



اجتماعياً أو عاماً إنسانياً . أدب المقالات والرحلات والخطب والمحاضرات والبحث والنقد . هذه الأنواع التي تؤلف الكثرة الساحقة من أدب مي ، في حين ينكش عندها الأدب الذاتي الى مجموعة مقالات تأملية قليلة العدد ومذكرات ضئيلة الحجم وضعتها في سن المراهقة وأوائل الصبا . فإذا لجأنا الى الأخبار التي تروي حياة الأديبة وتحديثنا عن أسلوبها في العيش والتفكير وجدنا في هذه الأخبار اختلاطاً ومبالغة أو وجدناها ضئيلة محدودة ، فيها كثير من الفجوات والحلقات المفقودة .

لهذا كان التركيز في هذه الدراسة على أدب مي . أي على الناحية التي تمثل نبوغها وفرادتها ، لا على شخصيتها التي تظل مبهمه رغم الجهد الذي بذلته في درسها ورغم الصفحات التي أفردتها لهذا الموضوع .

بهذه المناسبة أودّ التنويه بذكر بعض الذين سبقوني الى معالجة موضوع مي ، واستفدت من مطالعة ما كتبوه . السيدة وداد سكاكيني التي وضعت في سيرة مي وآثارها كتاباً يفيض بالاخلاص . الدكتور جميل جبر الذي بذل مجهوداً كبيراً في جمع ما تفرّق من أخبار مي ومذكراتها ورسائلها . الاستاذ محمد عبدالغني حسن الذي جمع من كبار الادباء الذين عرفوا الكاتبة ، معلومات جزيلة الفائدة أثبتتها مفصلة في كتابه . والاستاذ فاروق سعد الذي اختار من « حداثتي مي » باقات تدل على دقة علمية



وحسن ذوق في الاختيار .

ولن يفوتني أن أوجه في الختام كلمة شكر الى السيدة نجلا  
عقراوي التي راجعت مخطوطة الكتاب وأمدتني بملاحظات  
قيمة .

ر. غ.

\* \* \*



## لمحات من عصري

في تلك الحقبة اللمعة ، وفي ذلك العصر المخضرم الذي أنتج عمالقة النهضة الحديثة في الشرق العربي ، عاشت مي زيادة ( ١٨٨٦ - ١٩٤١ ) .

ليس من الغلو في شيء أن أدعوه عصر العمالقة ، إذا استطعت أن أبرهن على أنه كان كذلك .

أعلام هذه الحقبة ، أدباء كانوا أم علماء ، تميّزوا على وجه الإجمال بالتفرّغ لنشاطاتهم الأدبية والعلمية . فأتيح لهم من وسائل التعمّق والإتقان ما لم يتح للذين جاءوا بعدهم . بذلك أمكنهم أن يجمعوا بين وفرة الانتاج وقوة الإبداع . وقد مهد لهم الطريق عدد من الروّاد الكبار الذين وضعوا حجر الأساس في بناء النهضة . ولدوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر وأدركتهم الوفاة في النصف الثاني . كان أولهم ناصيف اليازجي ( ١٨٠٠ - ١٨٧٠ ) الذي وضع سبعة مؤلفات في اصول اللغة العربية لا تزال حتى اليوم مرجعاً للطلاب والدارسين ، وجدّد بكتابه « مجمع البحرين » براعة الحريري في فن المقامات . ثانيهم رفاعه الطهطاوي ، المتوفى سنة ١٨٧٣ ، الذي ترأس بعثة محمد



علي العلمية الى باريس وتفرّغ لنقل العلوم الغربية ، لا سيما الجغرافية الى العربية . الثالث بطرس البستاني ( توفي ١٨٨٣ ) الذي يكفي لتعريفه أنه صاحب « محيط المحيط » ، المعجم الذي لم يقم بعده معجم يضارعه دقةً وشمولاً . و « دائرة المعارف » التي تحدّث بها منفرداً دائرة المعارف البريطانية . والرابع احمد فارس الشدياق ( توفي ١٨٨٧ ) ، صاحب الأبحاث المبتكرة في خصائص اللغة العربية ، ومنشئ أول جريدة عربية في عاصمة السلطنة العثمانية : « الجوائب » التي جاب بها « صقر لبنان » أقطار العرب .

أما المخضرمون الذين اضطلعوا بعملية البناء ، ففي رأسهم يأتي ابراهيم اليازجي ، بكر الشيخ ناصيف ووارث نبوغه اللغوي . لكنه لم يقصر نشاطه على الابحاث والمؤلفات اللغوية التي جعلته مرجعاً للأساتذة والطلاب في عصره بل مارس الصحافة الأدبية والترجمة وكان بأسلوبه النثري المحكم إماماً من أئمة الإنشاء المجدّد . واستهوت العلوم الحديثة فوضع فيها أبحاثاً ومصطلحات جديدة ونبغ في الرياضيات والفلك فانتخب عضواً في الجمعية الفلكية التي كان لها مراكز في باريس وأنقرس والسلفادور .

ومن المخضرمين المشاهير ، سليمان البستاني الذي اقترح وحده عملاً يستعصي على الجبارة هو ترجمة الياذة هوميروس

شعراً في ستة عشر ألف بيت صدرها بمقدمة تمثل خطوة رائدة  
في ميدان النقد العلمي .

وجرجي زيدان ، أول من كتب تاريخ الحضارة الإسلامية  
والآداب العربية بأسلوب علمي حديث . وضع أكثر من عشرين  
رواية تلخص تاريخ العرب للناشئة ولعامّة القراء بأسلوب تسيغه  
أذهانهم وأذواقهم .

وزميله يعقوب صروف ، منشئ « المقتطف » المجلة العلمية  
الفريدة في نوعها ، التي عاشت أكثر من سبعين عاماً ، ولم يظهر  
حتى اليوم مجلة علمية تضاهيها في رفعة المستوى وفي ما قدّمته  
للنهضة العلمية من خدمات .

وشوقي للشاعر الخالد بحكمه وقصائده المختارة – الذي شق  
طريق المسرح الشعري الغنائي بمسرحيات لم يستطع أحد أن  
يعارضها بعده .

وحافظ إبراهيم صاحب القصائد الوطنية المفعمة بروح الصدق  
والإخلاص . و خليل مطران الذي تلمذ له المجددون من الشعراء ،  
منهم أحمد زكي أبو شادي مؤسس « جماعة أبولو » . كما تلمذ له  
المبدعون في الشعر القصصي الطويل النفس ، أمثال شبلي ملاط  
والأخطل الصغير .

وأمين الريحاني الذي ارتاد الأقطار دارساً مستظلاً ، كما



ارتاد الكتابة باللغة الانكليزية . خاطب الغرب كما خاطب الشرق . تكلم فكان لكلامه دوي رددته الأجيال . أدخل على العربية اسلوب الشعر المنشور وفتح برحلاته وأخبارها الممتعة أقطاراً عربية مجهولة .

وجبران ، عميد « الرابطة القلمية » ، الذي فلسف الحياة والموت برسومه وكتابه . عايش الرؤى والأحلام البعيدة المدى وسبك رؤاه بأسلوب شعري استهوى الغربيين والشرقيين . قصار اسمه على كل شفة وصارت حياته اسطورة .

وأبو ماضي الذي تغنى بجداوله وخمائله سكان الأقطار العربية من شرقها الى غربها . وميخائيل نعيمة الذي راجت أشعاره الصوفية كرواج قصصة الواقعية ، وكان في « غرباله » رائداً للنقد الحديث .

ونقولا فياض أمير المنابر والشاعر الرومنطقي الذي طلق الطب لشغفه بالشعر .

ووديع البستاني ، نسيب سليمان البستاني ، الذي جراه في اقتحام المرامي البعيدة بترجمته « المهابرات » ، الملحمة الهندية الخالدة .

وماذا أقول عن عمالقة آخرين نظير قاسم أمين ، رائد تحرير المرأة في كتابه الذي هزّ مصر هزّاً عنيفاً .

وطه حسين أعجوبة القرن العشرين . وتوفيق الحكيم المبدع  
في قصصه ومسرحياته . والمازني والعقاد ، والرصافي والزهاوي ،  
وبشاره الخوري ، وسواهم من اصحاب الانتاج الضخم والرؤوس  
الشاحخة في موكب النهضة ..



لا ننسَ أنه كذلك عصر رائدات النهضة النسائية : منهن  
السابقات اللواتي ولدن في النصف الأول من القرن التاسع عشر  
وأدركن مطلع القرن العشرين ومهتدن لأخواتهن الطريق . عائشة  
التيمورية الشاعرة صاحبة ديوان « حلية الطراز » . زينب فواز  
العاملية ، مؤلفة « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » .  
وردة اليازجي التي طبع ديوانها « حديقة الورد » عدة مرات .  
ومريانا مراش الموسيقية وصاحبة ديوان « بنت فكر » .

ومنهن مجايلات مي : هدى شعراوي زعيمة النهضة النسائية  
في مصر ، صديقة مي وزميلتها في النشاطات الاجتماعية . ملك  
حفني ناصف ، أو « باحثة البادية » ، مؤلفة « النسائيات » التي  
كتبت فيها مي نقداً مستفيضاً . ماري عجمي الشاعرة الدمشقية  
وصاحبة مجلة « العروس » . لبيبة هاشم ، الصحافية اللبنانية  
صاحبة « فتاة الشرق » . عفيفة صعب منشئة مجلة « الخدر » .  
جوليا طعمه دمشقية صاحبة « المرأة الجديدة » ، صديقة مي  
وناشرة كتاب في وصف الحفلات التكرمية التي أقيمت لها في



لبنان وسوريا سنة ١٩٢٢ . وسلمى صايغ مؤلفة « النسبات »  
التي راسلت ميّاً وبادلتها الصداقة والإعجاب .

وهناك أدبيات لبنانيات الأصل . معاصرات لميّ ، أقمن في  
مصر وتلقّين فيها ثقافتهن ، وكتبن باللغة الفرنسية حين كانت  
هذه اللغة مزدهرة في الاسكندرية والقاهرة ، تتمهدها بالعناية  
والاهتمام معاهد ومجلات فرنسية ذات مستوى رفيع . جان  
أرقش ، مؤلفة « مصر في مرآتي » و « الأمير فخر الدين او  
الأمير ذو الصليب » ، هذه التي امتدح كتاباتها طه حسين في  
« فصول في الأدب والنقد » وتأسف لأنها لم تكتب بالعربية .

امي خير ، أيضاً من صديقات ميّ ، لبنانية الأصل ومؤلفة  
قصص فرنسية ذات طابع لبناني .



لن أقف طويلاً عند عوامل الازدهار العلمي والأدبي وقد  
توسّعت في وصفها المطوّلات التي أرّخت لعصر النهضة ، لكنني  
أشير الى العامل الاساسي وهو الاحتكاك القوي المباشر بين الغرب  
والشرق العربي عن طريق حملة نابليون وانشاء الجامعات الغربية  
ومراكز النفوذ الثقافي الغربي في بيروت والقاهرة والاسكندرية  
وسواها من مدن . يضاف الى ذلك تأسيس المدارس الارسالية في  
الاقطار العربية وتنظيم البعثات الثقافية الى الغرب ونشاط

حركة نشر الكتب القديمة . وما رافق هذا من نهضة الصحافة  
بأنواعها : السياسية والادبية والعلمية .

ولا بد من التنويه بالجهود التي بذلها محمد علي وخلفاؤه لنشر  
العلم والثقافة في مصر ، وفتح المجال امام ادباء الاقطار العربية  
الآخري ، لاسيما لبنان وسوريا ، للمساهمة في بناء النهضة  
المصرية .

يؤثر عن الخديوي اسماعيل قوله : « أريد أن اجعل من مصر  
قطعة من أوروبا » والمعروف انه بنى دار الاوبرا المصرية وفي  
عهده نشأ المسرح المصري على ايدي اللبنانيين والسوريين ، وأمت  
مصر الفرق التمثيلية الاجنبية ، وأرسل الممثلون الناشئون ،  
ومنهم جورج أبيض اللبناني الاصل ، لالتقان الفن في باريس .



يجب ان نذكر كذلك أن الادب الغربي الذي نهل من معينه  
ادباء تلك الحقبة هو ادب أوروبا الغربية في عصوره الكلاسيكية  
والرومنطيقية المعتدلة . فلا نلح عندهم تأثيرات الرمزيين  
والسورياليين وخلفائهم من شعراء اللاوعي واللامعقول . لذلك  
كان أدبهم من النوع الذي يثبت للزمن ، بريثا من العيوب التي  
انزلق اليها المتطرفون ، يحمل تأثير الرومنطيقين الكبار امثال  
هوغو ولامرتين وموسيه وجورج صانسد وبايرون وشلي ومن  
جري مجراهم . المجددون بينهم اعتدلوا في التجديد والمتأنقون



اعتدلوا في التأنيق ، والتزموا حسن الذوق ونجحوا في التوفيق بين القديم والجديد . لم يستعبدوا للنظريات الغامضة والنزوات الغريبة التي كانت في الغرب قصيرة العمر . فكان غموضهم واضحا وثورتهم بناء وعنايتهم بالفكرة تضاهي عنايتهم بالاسلوب .

وكان منهم ادباء نضال - كما دعاهم مارون عبود في « رواد النهضة الحديثة » ، اتخذ الوعي الاجتماعي عندهم أبعادا واضحة المعالم . منهم محمد عبده ، أديب اسحق ، شبلي الشميل ، الكواكبي ، فرنسيس مرآش ، المويلحي ، ولي الدين يكن ، المنفلوطي ، فرح انطون ، الريحاني وغيرهم .

ان الادب الاجتماعي الذي ازدهر في عصر مي نبع من صميم الحاجة وعبر عن تحسس قوي لآلام المجتمع ورغباته . لم يرتبط اصحابه بذهب او حزب ولم يكونوا دعاة للسياسات لمناقضة والفلسفات الغنيمة التي جرفت الصحافيين والادباء بعدهم .

واذا طالعنا آثار أولئك الرواد لمسنا الشجاعة الادبية وحرية الفكر والمحاولات الجريئة في ما كتبه الكواكبي ، مؤلف « طبائع الاستبداد » وزملاؤه محمد عبده وشبلي الشميل وفرح انطون . واذا التفتنا الى الشعراء رأينا شمر شوقي مشحونا بالقصائد والامثال الوطنية والاجتماعية التي يتداولها اليوم

طلّاب المدارس وسواهم . وما أكثر القصائد القومية والاجتماعية التي نحفظها لحافظ ابراهيم . اما الرصافي والزهاوي فقد وقفنا معظم اشعارهما على توعية الناشئة وبث روح التجدد والانفتاح في عامة الناس ، ولا نعرف للمعاصرين شعرا ككشعر المخضرمين فيه من قوة الروح القومية والانسانية ومن جمال السبك ومتانته ما يهيئه للذيق على كل لسان .

في الحملة التي جرّدها دعاة الالتزام على المخضرمين ، ورد قولهم ان هؤلاء ، وان عاجلوا الموضوعات الاجتماعية وقضايا الساعة ، ظلّوا بعيدين عنها جسما وروحا . لانهم لم يختلطوا بالشعب ولم يشاركوه في نضاله ، بل كانوا مترفعين ، انعزاليين ، ينظرون الى الجماهير من عل . يحيون حياة ترف ويلازمون اصحاب القصور .

هذا الزعم باطل . لأن شعراء المصّر المخضرم اجمالا لم يكونوا من اهل الثروة ، اذا استثنينا منهم شوقي الذي تعهّده الخديويون برعايتهم ، وفضلهم عليه لا ينكر . اما حافظ ومطران فعاشا عيشة فقر وحرمان . كذلك الرصافي الذي مارس التعليم لتحصيل معاشه ومات فقيرا . اما الزهاوي فرغم نشوئه في بيت يسر ووجاهة ، عاش حياة قلق ، مناضلة ، يقارع الخصوم الذين استنكروا جرأته وصراحته ، فاضطهدوه وأذاقوه ضنك العيش .



اما الناثرون امثال المنفلوطي وولي الدين يكن وقاسم امين،  
والمويلحي واولئك الذين سبق ذكرهم من ادباء النضال ، فجميعهم  
تكرسوا للنقد والاصلاح الاجتماعي وخاضوا فيه الى ابعد  
الحدود . واما ادباء المهجر فرغم تركيزهم على موضوعات فلسفية  
انسانية ، لم يهملوا النقد الاجتماعي بل عالجوه في القصص،  
والمسرحيات والخطب والمقالات وكانوا دعاة التطوير والتجديد  
في مختلف المجالات .



في تلك الحقبة الحسبة نشأت مي . في ظل أبوين مثقفين،  
كانت وحيدتها فبذلا كل ما في وسعها لتثقيفها وانماء مواهبها .  
في الناصرة ، مسقط رأسها ، تلقت علومها الابتدائية في مدرسة  
الراهبات اليوسفيات . مدرسة اجنبية كانت تعنى بتدريس  
الفرنسية والعربية . وعن الناصرة تتحدث مي في مذكراتها  
فتناجيه قائلة :

« ايه يا ناصرة ، لن أنساك ما دمت حية . سأعيش دوما  
تلك الهنشات العذبة التي قضيتها في كنف منازل الصامتة .  
وسأحفظ في نفسي الفتية ذكرى هتافات قلبي وخلجات اعماقي » .  
« لقد كنت لي مدينة الازهار العذبة ومجال التنعم بأطياب  
الافاق في وجودي . » (١)

---

(١) « مي في مذكراتها » ، جمعها جميل جبر ، دار الريحاني ، بيروت ،  
لاتا ، ص ٢٣ .

في بعض تلك المذكرات ، تخبرنا انها كانت تحسن ركوب الخيل رغم حدائه سنّها فتقول عن نفسها : « وقد قطعت على ظهر الجواد سهولا وجبالاً ، نبضت حياة التاريخ تحت الارض منها وبين الاشجار وعلى الصخور وحول القمم . ما شهدت جلال الطبيعة الا عادت اليها تلك الذكريات مع صدى الاغاني الوجدانية التي ينشدها اهل المضارب في الظلام ، تنير بين ستائر الخيام أنة جزع وغرام . والآن ها هي امام البحر تتذكر فتشده من الالحان البدوية ما تهتز له اوتار قلبها ، » (١) .

وحين تكتب ميّ دراستها عن عائشة التيمورية تذكر ان بعض ما حفزها على هذه الدراسة هو "ال لعائشة سمعته يغنى في الناصرة في حفلة زواج وجيه سري" ، نصب فيها لمهرجان الفرح صوان عظيم على سطح الدار . فما يخيم الظلام الا وتأخذ تعزف الآلات الشرقية تحت الخيمة الوضاءة بتألق الانوار ومعالم الزينات الغاصّة بوجوه القوم وأعيانهم من تلك البلدة ووضواحيها (٢) .

ثم تمنع مي في وصف تأثير ذاك الموال في نفسها وكيف انها استشعرت به بعض ما فهمته بعدئذ من نجوى الموسيقى الشرقية . الى ان تقول :

---

(١) « مي في مذكراتها » م . س . ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) « حلية الطراز » ديوان عائشة التيمورية ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٧ .



« أتتصورون أثر هذا الرسم في مخيلة صغيرة شديدة التيقظ  
وفي نفس ليّنة ترتعش امام مظاهر الفن والجمال حتى لقد تبكيت  
لمرور سحابة زاهية الالوان في الافق !... »

هذه النتف المقتطفة من مذكرات حداثتها ، ان دلت على  
شيء ، تدلنا على رهافة احساسها وعلى تنبّئ ميلها الموسيقي في  
جو الاغاني البدوية وحفلات الغناء الشعبي .

من الناصرة انتقلت الى دير عينطورة ، حيث كانت مدرسة  
راهبات الزيارة تجاور مدرسة الآباء العازاريين ، الذين كان  
احدهم مرشدا للراهبات والتلميذات . وقد اشتهرت مدرسة  
العازاريين آنذاك برفعة مستواها التعليمي وتخريجها لعدد كبير  
من رجال الادب والعلم البارزين في لبنان . من ذلك يمكننا  
الاستنتاج بأن مدرسة راهبات الزيارة اصابته مقداراً من  
الاشعاع الثقافي الذي انبعث من معهد الآباء العازاريين .

في مدرسة عينطورة تلقت مي توجيهها الادبي وفي جوّها  
الرومنطقي الحالم تفتّحت موهبتها الشعرية . ومن خلال  
مذكراتها القليلة نستشفّ التأثيرات التي علقت بنفسها من منظر  
البستان المزدهم بالاشجار الباسقة والاروقة المرمرية الطويلة حيث  
الراهبات يتسلّكن كالاشباح ، خفيفات الخطى ، في ملابسهن  
الفضفاضة .

هناك أتيح لها ان تتلقى ثقافة عامة متينة . ان تتقن العربية

وعددا من اللغات الاجنبية : اللاتينية ، الفرنسية ، الانكليزية ، فضلا عن الموسيقى والغناء

كانت تلقى عطفاً من « المرشد ذي الصوت الموثّر » وتشجيعاً خاصاً من المعلمات اللواتي توسّمن فيها ذكاء خارقاً ورغبة شديدة في الدرس والتحصيل . فكانت يكلّفنها إلقاء الخطب وتمثيل بعض المسرحيات القصيرة . وقد أظهرت تفوقاً في الإلقاء بالفرنسية والعربية وظفرت بالجائزة الاولى في الانشاء بهاتين اللغتين .

بعد مغادرة عينطورة واصلت مي الدرس الذاتي ، لا سيما أثناء اقامتها في مصر . تمكنت من اتقان الايطالية والالمانية وألمت بالاسبانية . وكتبت مذكراتها واشعارها بالفرنسية وترجمت قصصاً عن الفرنسية والالمانية والانكليزية .

أمّت مصر مع والديها يوم كانت مصر كعبة العلوم والآداب ، ومنتجع اهل الفكر والطموح . هناك نمت مواهبها على ايدي نخبة من الادباء والمفكرين ، كان منهم يعقوب صروف ، صاحب « المقتطف » ، الذي أحاطها بعناية ابوية . وأحمد لطفي السيد الذي أطلعها على كنوز العربية وحسّب اليها الكتابة بلغة الضاد .

في الجامعة المصرية اتصلت بكبار اهل العلم والاستشراق فأكبت على درس التاريخ والفلسفة والفلك القديم والعلوم العصرية . وحين رسخت قدمها في ميدان الكتابة والخطابة .

ولقيت مقالاتها ترحيباً في كبريات الصحف والمجلات ، أنشأت  
صالتها الادبية او « الندوة » التي جددت بها عهد سكيئة بنت  
الحسين والمركيزة دورمبوييه . فاستطاعت ان تجتذب نحو  
ثلاثين من افاضل الادباء وأهل الفكر ، قصدوا الندوة مساء كل  
ثلاثاء لينشقوا من صاحبها عير الظرف والايناس وتتطلق من  
احاديثهم ومساجلاتهم شرارات الوحي وآيات الفكر .

كان عصرها عصر الادب الانيق الذي امتاز اصحابه بطلاقة  
القول والحديث ، والتأنق في الرسائل التي وجهوها بعضهم إلى  
بعض او عبروا فيها عن خواطرهم ، على مثال المترسلين في العصر  
العباسي . فرسائل الرافعي والعقاد والربحاني ومي وجبران  
نماذج من الادب الرفيع الذي يغذي الفكر والشعور .

وكان كل اديب يبدأ حياته بنظم الشعر ويحاول ارتجاله في  
المحافل الادبية ، مجارياً بذلك رغبة الناس التقليدية في الشعر  
واعجابهم بمن يقدر على ارتجاله .

أذكر اني قرأت كتاباً صدر في تلك الحقبة ( ١٩١٢ ) ، جمع  
فيه الناشر كل ما قيل من خطب وقصائد في تكريم المغتربة  
العائدة الى لبنان ، السيدة الزحلية نجلا صباغ فاخوري ، التي  
اشتهرت باحسانها وأدبها . يقول ناشر الكتاب عن تلك الحفلة :

« تبارى الخطباء والشعراء في القاء القصائد والمقطوعات  
والخطب ، بعضها مما سبق تهيئته ، والبعض الآخر مرتجل ومن



وحي الساعة . وطالت الامسية حتى ساعة متأخرة من الليل  
وطال انشغالي بنقل ما قيل ، حتى كلت يدي وجف الحبر من  
الدواة ، ولم تجف القرائح ولم يصبها الكلال .



آخر ما نذكره عن الدور المخضرم أنه لم يكن عهد تخصص في  
لون من ألوان الأدب . فأكثر أدبائه مارسوا الشعر والنثر  
والصحافة والنقد . وأحيانا القصة والمسرحية .

ومي تمثل عصرها هذا في جمعها الموفق بين ثقافتين وفي  
تعدد اهتماماتها وعدم اختصاصها بفن من فنون الأدب . فهي  
شاعرة ، صحافية ، خطيبة ، ناقدة وباحثة . وفي بعض الأحيان ،  
قعالج القصة والمسرحية .



## شخصيتي

قد يكون أفضل مرجع لمن يريد التعرف الى مي ودرس أخلاقها في سنوات الحداثة ، أن يطالع المذكرات التي كتبتها في مدرسة عينطورة ، في غابات لبنان ، وفي السنوات الاولى التي تلت قدومها الى مصر . كانت سنّها إذ ذاك تتراوح بين الخامسة عشرة والثانية والعشرين ، فنرى فيها فتاة رومنتيقية المنزع ، تشكو الوحدة التي تعاني منها كل فتاة نشأت وحيدة في بيت أبويها . مذكراتها تدور حول نفسها ، تستعرض انطباعاتها ومشاكلها الذاتية ، فلنسمعها تصف نفسها ، في «دفترها الصغير» تحت عنوان «يوميات عائدة» :

« كانت عائدة ذات طبيعة غنيّة ، خصبة ، تحب الجري واللعب والضحك ، وأي فتاة لا تحب ذلك ؟ وتبتكر للهو أساليب طريفة ترفعها في عيون رفيقاتها . لكنها كانت وحيدة الروح ، وكثيراً ما كانت تنزع عن ميدان اللعب الى الحجر المنفرد في أطراف الساحة ، فتجلس هناك ناظرة الى البحر البعيد ، الى زرقته الغياء واستدارة الافق المخيم عليها ، متمتعة بجمال الطبيعة ومتهيّبة مظاهر روعتها جميعاً .. » .



« لقد استيقظت باكراً هذا الصباح ، فلبثت في سريري لا أبدي حراكاً وأنشأت أتأمل ... ما هذه الحياة التي نحيها ؟ ..  
كنت أكرّر لنفسي : ما هذه الحياة التي قال عنها المرشد أنها مشكلة المشاكل ، وأنها سريعة سرعة السهم المنطلق في الفضاء ؟  
ويقول عنها أشياء أخرى تذهلني ولا أفهمها .

« انتقلت من تأمل الى تأمل حتى انتهيت الى فكرة الموت .  
كم ذا سمعت أن هذه الفكرة كانت تعزية للقدّيسين ورجاء لهم ... انتشرت فيّ اليوم انتشار الألمان في الارغن العازف .  
ولكن تلك النظرة الجافية التي أرسلتها <sup>(١)</sup> إلي في الظهر ونحن خارجات من المائدة ! هي تلك النظرة التي حملتني على البكاء وأحزنتني طوال النهار .. كيف أتخلص من شعوري ؟ كيف أفنيه ؟ كيف أصير صخرة ؟ حدّثيني أيّتها الحجارة العسيرة ، كيف صرت حجارة ؟ ..

« وانتشر شذا البخور في فضاء المعبد ...

« جثوت على سريري وطلبت الموت ، لا جبناً ولا ضعفاً ،  
بل شوقاً الى السماء الزرقاء حيث الطهر والنقاوة والجمال  
والكمال ....

\* \* \*

---

(١) إحدى الملاحظات .

« أؤمن بإله واحد .

« نعم يا إلهي أؤمن بأنك واحد لا إله إلا أنت وأنت أنت  
خلقتنا وأنت صالح ، وأن الحياة جميلة !  
« هذا يوم بهي !

« الموسيقى في هذا المساء على أبدع ما عهدت .

« لا بد أن يكون في السماء جوقة موسيقية بارعة تعزف من  
الألحان الربانية ما لم تسمعه من هذه الأرض أذن ولم يخطر منه  
شيء على بال بشر ! »



هذه المقتطفات من مذكراتها في عينطوره تكشف لنا نفسية  
فتاة لعوب ، خفيفة الروح ، تأنس بالعشرة ، لكنها تميل الى  
الوحدة والتأمل والاختلاء بالطبيعة . لماذا ؟ لأنها مفرطة  
الحساسية ، تخشى إغضاب الناس وإزعاجهم ، فتهرب الى ذاتها  
أو الى الطبيعة أو إلى دفترها ، خوفاً من المشاكل التي تثيرها في  
وجهها معاشرة الناس .

سريعة التأثر بأقوال المرشد وعظاته ، يدفعها ذلك إلى التأمل  
والتساؤل عن سر الحياة والموت ، واللجوء الى الإيمان والصلاة  
لعلها تجد فيها جواباً . ذات نفس حائرة تتجاذبها عوامل الحزن

والسرور ، السخط والرضى . شديدة الإحساس بالأشكال الطبيعية والألوان والأصوات والعطور . تخاطب دفترها ، تخاطب الصخور ، لأنها على مثال الرومنطيين ، تبتث الحياة في الجماد . أفكارها تتجاوز الواقع ، تنقلها الى عوالم خيالية تسبح فيها الملائكة الأطهار . من خلال هذه الصفات ومما أشبهها ، فستشف موهبتها الكتابية المتبرعمة .

لكن لمي مصادر أخرى من مصادر البهجة والعزاء : هي الموسيقى والكتب .

الموسيقى التي تخاطبها بلغة لا شيء أقرب منها إلى إدراكها وعواطفها . التي تنيلها « أجنحة وتطير بها إلى عوالم لا يطرقتها غيرها » .

والكتب التي تفرق في مطالعتها حتى تنسى نفسها وتنسى الوجود . لا سيما كتب شعرائها المفضلين . شعراء الرومنطيين الذين يأسرون قلوب الفتيان والفتيات بروعة خيالهم ودقة شعورهم : هوغو ، لامرتين ، بايرون ، شلي ، شار ، ماكس مولر وغيرهم .

ومع إشارها لهؤلاء ، لا تحصر فيهم متعتها بل تدفعها الرغبة في توسيع أفقها إلى إنعام النظر في جميع مدارس الأدب على اختلافها . تطالع شكسبير ، فولتير ، روسو ، ديكارت ، بوسويه ، كورناني ، راسين ، موليير ، فينلون ، مدام دوستال



مدام دوسفينيه . فلا تبلغ سن الشباب إلا وقد وعت تواريخ  
الامم وأخبار الشعوب، إلى جانب حذقها لفن الموسيقى والغناء.  
وقد حدا بها « جوع فكري لا يكتفي وعطش روحي لا  
يرتوي »<sup>(١)</sup> إلى دخول الجامعة المصرية سنة ١٩١٦، وقد ناهزت  
الثلاثين من العمر، فعكفت على درس الفلسفة والفلك والأدب  
العربي، كما واصلت درس الموسيقى على معلم خصوصي، مستكملة  
بهذه الدروس ما فاتها تحصيله بنفسها أو في معهد دراستها  
الثانوية .



في سنة ١٩٠٨ كانت نقطة التحول في حياة مي . انتقلت مع  
والديها إلى القاهرة، كما سبق القول، صبية حلوة الملامح، وافرة  
الجمال، متوقدة الذكاء، سنّها تبلغ الثانية والعشرين . هناك  
ينخرط والدها، الياس زياده، في سلك الصحافة، هاجراً مهنة  
التعليم التي مارسها في الناصرة .

وفيا كان الوالد منصرفاً إلى تحرير مجلة « المحروسة »<sup>(٢)</sup> التي  
كان صاحبها وجيهاً قاهرياً يدعى ادريس راغب باشا، كانت  
مي تعطي بنات هذا الوجيه دروساً في منزلهن، وتنتشر في

.....  
(١) من رسالة إلى جوليا طعمه دمشقية تصف فيها نفسها .

(٢) « المحروسة » لقب القاهرة .

الجريدة المذكورة مقالات عربية وفي مجلة « بروغريه » Progrès  
الفرنسية مقالات وأشعاراً فرنسية .

لا يلبث السيد ادريس راغب أن يهدي والدمي مطبعة  
الجريدة عرفاناً لجمل الفتاة وإقراراً بفضلها على بناته . وينشر  
صدرمي ، لأنها استطاعت أن تدخل الفرحة الى قلب والديها .  
ويكافئها الوالد بنشر باكورة أشعارها ومذكراتها الفرنسية تحت  
عنوان « أزاهير حلم » مرفقة بـ « مذكرات عائدة » وبتوقيع  
« ايزيس كوبيا » وهو الترجمة اللاتينية لاسمها : ماري زيادة<sup>(١)</sup> .

كان ذلك سنة ١٩١١ . وقد أحدثت أشعارها الفرنسية  
ضجة في دوائر الأدب وتناقل الناس اسم صاحبته ، ورأى فيها  
أهل الذوق والمعرفة دلائل أدبية مطبوعة . فتطوع احد اصدقاء  
أبيها ، الاستاذ احمد لطفي السيد ، المفكر والأديب ، بإرشادها  
إلى وسائل إتقان العربية ، أملاً بأن تتحوّل عن الفرنسية إلى  
لغة الضاد . حبّبت إليها الأدب القديم وقادها إلى تذوق روائعه ،  
لا سيما القرآن الكريم الذي فتنها بنفسه الشعري وسموّ عبارته .

من ذلك الحين ، ركزت اهتمامها على العربية وأخذت تمارس  
الخطابة والكتابة بهذه اللغة .

---

(١) « ايزيس » اسم الالهة المصرية زوجة اوزيريس وقد رمزت بها  
الى العذراء مريم التي حملت اسمها . و « كوبيا » لفظة لاتينية بمعنى « زيادة »  
وقد أبدلت ماري اسمها بمي ، مكتفية بالحرفين الاول والاخير منه

كانت أولى خطبها في حفلة اقيمت لها في لبنان، ظهور الشوير،  
في صيف ١٩١١، بمناسبة تدشين « العرزال » الذي كانت تمضي  
فيه خلواتها والذي دعت « الكوخ الأخضر » .

ولفتت الأنظار بمقدرتها الخطابية يوم وقفت ، سنة ١٩١٣ ،  
في حشد كبير من الأدباء والمتأديين ، تلقي مقالة أرسلها جبران  
خليل جبران لتتلى في الاحتفال المقام للشاعر خليل مطران ،  
بمناسبة إنعام الحديوي عليه بوسام رفيع . فألقت المقالة وعقبت  
عليها بخطاب من تأليفها . وقوبل إلقاؤها وخطابها بتصفيق حاد  
وهتاف طويل . وفي مذكرات طه حسين إشارة الى هذه الحفلة  
جاء فيها :

« لم يرض الفتى عن شيء مما سمع إلا صوتاً واحداً سمعه .  
كان الصوت نحيلاً ضئيلاً وكان عذبا رائعا . وكان لا يبلغ السمع  
حتى ينفذ إلى القلب . هذا الصوت كان صوت مي » (١) .

بسمت الحياة لمي . وتعددت مقالاتها العربية في « المقتطف » ،  
و « الهلال » و « المحروسة » وغيرها من كبريات الصحف .

نشرت سوانحها متتابعة في « الهلال » ابتداء من سنة ١٩١٢  
وترجمت عن الفرنسية والانكليزية والألمانية ثلاث روايات بين

---

(١) مذكرات طه حسين، ط ٢ ، نشر دار الآداب، بيروت ، ص ٤٥ .



١٩١١ و ١٩١٢ .

وتعددت رحلاتها الصيفية إلى لبنان وفلسطين قبيل الحرب العالمية الاولى ، زارت مرابع طفولتها ومسارح لهُوها ، وكتبت عن تلك الرحلات أحاديث ملأى بالطرافة والمرح والفكاهة نشرتُها في الصحف آنذاك ، وجمعتها فيما بعد ( ١٩٢٤ ) في كتاب دعتُه « الصحائف » .

في خلال ذلك ، عنيت بإنشاء ندوتها الأدبية ( ١٩١٤ ) التي لقيت رواجاً هائلاً وعاشت نحواً من عشرين سنة . وغرقت في نشاطاتها المتعددة غرق المتعبّد في فروض عبادته . كانت تنتقل من خطبة إلى محاضرة ، من مقالة إلى جلسة أدبية ، من الإسهام في مشروع اجتماعي إلى تحرير رسالة . وفي أثناء الحرب العالمية الاولى ( ١٩١٦ ) عاودها الشوق إلى مقاعد الدراسة فدخلت الجامعة المصرية حيث وازّبت على الدرس مدة سنتين . وبين ١٩٢٠ و ١٩٢٤ أتمّت نشر معظم الكتب التي دأبت على تأليفها منذ ١٩١٢ فكانت تلك الفترة أخصب سني حياتها وأوفرها لمعاناً وعطاء .

أي تطوّر حدث في شخصية مي بعد انتقالها إلى مصر ؟

الفتاة الرومنطيقية التي عرفناها في « أزاهير حلم » تميل إلى العزلة ، وفي مقدمة « ابتسامات ودموع » ، الكتاب الذي نقلته عن الألمانية سنة ١٩١١ ، « تكتئب لغير ما سبب » ، أصبحت

فتاة قوية الشخصية ، تخطب في الجماهير فتسحرهم ، تستقبل في ندوتها حشداً من الادباء ، فتخاطبهم واحداً واحداً وتدير دفّة الحديث بينهم بلباقة وبراعة يحسدها عليها كبار أهل الفصاحة واللسن . يقول العقّاد منوهاً بهذه المقدرة الغريبة :

« كنا نحو ثلاثين كاتباً وأديباً ووزيراً.. اجتمعنا للتشاور في الاحتفال بالعيد الحسيني للمقتطف . وكان اجتماع هذا المجلس عندها في إبان المنازعات السياسية التي وصلت بكثير من الكتاب إلى حد التقاطع والعداء... فقضينا عندها ساعتين نسينا فيها أن في البلد أحزاباً أو منازعات ، وذلك بفضل براعتها في التوفيق بين الآراء والأمزجة ، وقدرتها على توجيه الحديث إلى أبعد الموضوعات عن الخلاف والملاحاة . وما أحسب أن أحداً غير مي قد استطاع الذي استطاعته في تلك الأيام » (١) .

ويقول الدكتور منصور فهمي واصفاً مقدرتها الخطابية :  
« لا أعدو الحق إذا قلت أنها كانت محاضرة من أرقى طراز وأعلى غرار . ولعل أسباباً اصطلحت على تفوقها في ذلك الميدان . فقد كان لها من عذوبة صوتها ، وحسن ادائها ، وحلاوة إلقائها ، ووسامتها وحسن سماتها ، معين على ذلك

---

(١) « مي أدبية الشرق والعروبة » لمحمد عبد الغني حسن ، القاهرة

١٩٦٣ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

وكانت تميّزها حين تقف للخطابة في حقل أو للمحاضرة في جمع ،  
ثقة بنفسها ، واعتداد بشخصيتها ، فما عرفت أنها تهيبّت منبراً ،  
أو خشيت موقفاً ، أو غشيتها سحابة من جبن ، أو جلّلتها  
غمامة من خوف ، بل كانت دائماً الواثقة ، الشجاعة . « (١)

كان رواد ندوتها نخبة من أدباء مصر وأدباء لبنان المتمصرين  
وبينهم عدد من الأدباء الأوروبيين المقيمين في مصر . يقول فيهم  
طه حسين إنهم كانوا « رجالاً ونساء يشتركون في تنظيم  
الاجتماعات الأدبية اشتراكاً حرّاً ، مميحاً ، فيه كثير جداً من  
الرقى والامتياز ... واتصلت حياة مي في هذا الصالون أعواماً  
غير قليلة وظهرت آثارها في كثير من إنتاج هؤلاء الناس » (٢) .  
وإذا نحن راجعنا آثار رواد الندوة ، وجدنا قسماً كبيراً منهم  
يشيرون في بعض إنتاجهم من شعر أو مذكرات أو رسائل  
ومحاضرات الى ندوة مي وتأثيرها في نفوسهم .

من هؤلاء الرواد كان ولي الدين يكن الشاعر الملتهم  
العاطفة ، الذي كان شديد الإعجاب بأدب مي وشخصيتها وقد  
دعاها الى نشر سوانحها في رسالة جاء فيها :

« فصولك الغضة تعلو بالمدارك وتثير جوانب النفس فلا

---

(١) « مي أدبية الشرق والعروبة » م . س . ص ٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

تدعيها كالأوراق التي تخضر في الربيع وتذوي في الشتاء ..  
اجمعها جنية غضة وكلتي بها رؤوس هذه الأعوام . الناس في  
حاجة الى هذه الأنعام الإلهية .

ولولي الدين في مي غزل كثير نرجح انه كان له مثله في غير  
مي . منه هذه الأبيات التي أرسلها إليها إذ علم أنها مريضة :

أتسقم مي وأبقى صحيحاً ألا إنني الصاحب الخائن  
فيا ربّ هب لي مواجع مي بأضعاف ما يزن الوازن  
وهب من حياتي حياة لها وإني لأمثالها ضامن<sup>(١)</sup>

ومنهم اسماعيل صبري الشاعر المصري الرقيق الذي نظم في  
ندوة مي هذين البيتين المشهورين :

روحي على بعض دور الحي حائمة  
كظامي الطير تواقاً الى الماء  
إن لم امتع بمي نساظري غداً  
لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

ومنهم أحمد لطفي السيد ، الأديب الذي كان قدوة للأدباء

---

(١) راجع مجلة « صوت المرأة » عدد خاص بمي ، كانون الاول ١٩٤٩  
و « مي زيادة في حياتها وآثارها » لوداد سكاكيني ، دار المعارف بمصر ،  
١٩٦٩ ، ص ١٢٦ .



بسمو تفكيره ورفعة خلقه . اهتم بتوجيه مي نحو الكتابة بالعربية وكان أحد معلّميا كما كان معلم طه حسين .

ومنهم أنطون الجميل ، الأديب « الجنّلمان » صاحب مجلة « الزهور » ، صديق مي الوفي ، الذي كان إعجابه بها يبلغ حد التقديس .

والدكتور شبلي الشميل « صديق البيت » ، الذي كان ينظم الشعر ويبشر بنظرية دارون . وقد خصّته مي في مذكرات الصحائف ، بفصل ممتع فيه ذكاء ودعابة .

وخليل مطران « شاعر القطرين » الذي لازم ندوتها من غير انقطاع وكان يكنّ لها احتراما عميقا وإخلاصا لا حدّ له . وعاش حتى رقّاها بقصيدة مؤثرة .

وأحمد زكي باشا العالم الكبير ، الذي كان يدير الكلام في الندوة حول الأبحاث والاكتشافات التاريخية ، تشاركه فيه مي المولعة بعلم التاريخ والآثار .

والأمير مصطفى الشهابي الذي يذكر في إحدى محاضراته ندوة مي وما تركت في نفسه من أثر فيقول : « كأني كنت في هيكل الأدب الأسمى وقدس النبوغ والعبقريّة . وإذا بأحاديثها تنم على أدقّ ما تلحسه مشاعر الإنسان . وقد خيل إلي أنني في حضرة إحدى سيدات الملاء الأعلى اللواتي كنت أقرأ عنهن في كتب كبار الأدباء الفرنسيين . وما كدنا نودعها حتى ابتدرني

الصديق العلامة أمين المعلوف قائلا : « إنها مخيفة » فقلت :  
« صدقت . وماذا أخافك منها ؟ » قال : « حدة ذكائها ووفرة  
معلوماتها الأدبية » . قلت : « أما أنا ففرط إحساسها لدقائق  
الحديث حتى كدت أرى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه »<sup>(١)</sup>.

ومن رواد ندوتها عباس محمود العقاد الذي كان من أصدقائها  
المقربين ، تبادلته الرسائل الودية والأدبية وتجري بينه وبينها  
المساجلات والمناقشات . وله في رثائها قصيدة تعد من أرق  
شعره وأصدقه .

وطه حسين الذي تعرف الى مي يوم حضر الحفلة التي اقيمت  
لتكريم خليل مطران وألقت فيها مي خطبة كانت الوحيدة التي  
أعجبته بين الخطب . واتصلت بعد هذا زيارته لندوة مي وكان  
واحداً من قليلين رضيت مي أن تستقبلهم أيام عزلتها التي تلت  
عودتها من لبنان الى مصر . وكان طه حسين أحد الخطباء الذين  
تكلموا في حفلة تأبينها فنوّه بمكانة مي الأدبية وبتأثير منتداهما  
الذي كان « ملتقى المثقفين ومجتمع المفكرين من أهل مصر  
وسوريا ومن أهل الشرق والغرب »<sup>(٢)</sup>.

---

(١) « باقات من حداثتي مي » لفاروق سعد ، نشر زهير بعلبكي ،  
بيروت ١٩٧٣ ، : نقلاً عن كتاب وباد سكاكيني ، « مي زيادة في حياتها  
وآثارها » . م . س . ص ٨٥ .

(٢) « مي أدبيّة الشرق والعروبة » ل محمد عبد الغني حسن ، م . س .  
ص ١٧٣ - ١٨٣ .

يذكر العقاد في مقاله «رجال حول مي»<sup>(١)</sup> ثلاثين من رواد الندوة، بينهم، عدا الذين سبق ذكرهم هنا، سليمان البستاني الوزير الشاعر ومعرّب الألياذة، أحمد شوقي أمير الشعراء، داود بركات مؤسس جريدة «الاهرام»، نجيب هواويني خطّاط الملك، حافظ ابراهيم شاعر النيل، ادريس راغب باشا الوجيه القاهري الذي أهدى والدمي مطبعة «المحروسة»، يعقوب صروف مؤسس «المقتطف» وكان لمي الصديق الكبير الذي يتعهدا بالرعاية الأبوية ورسائلها إليه آية في الطرافة والظرف، سليم سرّكيس الصحافي اللبناني المشهور بلباقته وكياسته، مصطفى صادق الرافعي الشاعر، صاحب «اوراق الورد» و«رسائل الأحزان» وقد اتخذ من مي عروس غزله العذري، منصور فهمي الكاتب الباحث صاحب «محاضرات عن مي»، الدكتور زكي مبارك الذي زامل ميّا في الجامعة المصرية وسمّاها «مدموازيل صهباء». والكلمة ترجمة اسمها الذي يعدّه فارسي الأصل، مع أنه ورد في الشعر العربي القديم ودعيت به حبيبة ذي الرمة الشاعر الأموي<sup>(٢)</sup>.

وهناك رواد آخرون لا يتسع المجال لذكرهم. أما من

---

(١) «باقات من حداثتي مي» م. س. ص ٨٢، نقلا عن الهلال، عدد آذار (مارس) ١٩٦٢.

(٢) راجع أبيات ذي الرمة في حبيبته مي كما أوردها طه حسين في تأبينه لمي زيادة ص ١٧٣ - ١٨٣ من «مي أدبية الشرق والعروبة» م. س.

الأدبيات وقائدات المجتمع اللواتي قصدن ندوتها أو ترددن إليها، فنذكر هدى شعراوي زعيمة النهضة النسائية في مصر، وقد وجدت في مي زميلة ومعاونة لها في نشاطاتها الاجتماعية والحفلات الخطابية التي كانت تنظمها للدفاع عن المرأة والمطالبة بحقوقها والحض على أعمال البر والاحسان. ملك حفي ناصف التي راسلتها مي مراراً على صفحات الجرائد ووضعت في تحليل شخصيتها وأدبها كتاب «باحثة البادية» الذي سيأتي ذكره، وإيمي خير الأدبية اللبنانية الأصل التي نشرت مؤلفات شعرية وقصصية باللغة الفرنسية (١).

لم يقتصر المعجبون بمي على أهل ندوتها. بل إن شهرتها جاوزت مصر إلى سائر الأقطار العربية وإلى أقطار غير عربية. راسلها الكاتب والشاعر العراقي كاظم الدجيلي حين تصدّت مي لمناقشة نظريته حول وجود الشعر القصصي الحماسي (الملحمي) عند العرب، في مقال نشرته مجلة المقتطف سنة ١٩١٩. ورد عليها الدجيلي بعد خمس سنوات بقصيدة مدح وإعجاب نشرها في «الهلل» وأتبعها ببحث يعود فيه إلى إثبات نظريته ويعطي الشعر القصصي الحماسي اسماً آخر هو «العلواء» الذي يقصده «الملحمة».

---

(١) راجع حديث هدى شعراوي وإيمي خير عن مي في كتاب «مي أدبية الشرق والعروبة» م. س. ص ١٦٣ و ١٩٣.



وكان طاغور شاعر الهند واحداً من الذين سمعوا بمي  
فأهداها إحدى قصائده الانكليزية التي تحمل عنوان « طائر  
الصباح » ، وقد نشرت بأصلها الانكليزي مع ترجمتها العربية في  
كتاب مي : « بين الجزر والمد » ( دار الهلال ) ، مصر ١٩٢٤ ،  
ص ١٠٩ ) .

إلا أن أغرب الأخبار التي رواها عن مي بعض الكتاب  
المعاصرين ، وفيها الصحيح المقبول والضعيف الذي يحتمل الشك ،  
ما رواه كامل الشناوي في جريدة « أخبار اليوم » ، سنة ١٩٥٥ ،  
في سلسلة مقالات جمعت في كتاب عنوانه : « الذين أحبوا مي » ،  
نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ <sup>(١)</sup> وجاء فيه : « ان أحد  
أمراء المغرب حاول خطف مي فحاصر بيتها بأعوانه واقتحموا  
البيت بقيادة الأمير لكنهم لم يجدوا مياً بل وجدوا قوة من  
رجال البوليس . وفيما يأتي تفصيل الخبر :

كان اسم الأمير محمد الجزائري . زار مصر سنة ١٩٢٠ ،  
والتفّ حوله كثيرون من شباب المغرب ، كانوا يطلبون العلم في  
الأزهر . وذاع عن الأمير أنه فارس شجاع وشاعر فحل وجواد  
ينفق عن سعة . فأحاط به جماعة من الأدباء البائسين والشعراء  
المغمورين « أخذوا يتهالون عليه بالثناء وينهال عليهم بالعطاء » .

---

(١) « باقات من حداثق مي » م . س . ص ١٣١ - ١٣٥ .

وحدث أن تعرّف الأمير الى الشاعر خليل مطران ، ورأى هذا أن يقدمه إلى مي . فصحبه إلى ندوتها في إحدى جلسات الثلاثاء . وفتن الأمير بحديث مي وصوتها العذب فصحّ عزمه على خطفها ، ورشا خادمها بعشرة جنيهات مقابل وعده إياه بتسهيل المهمة . لكن الخادم ما لبث أن اعترف لمي وأصدقائها بالذنب الذي ارتكبه وأخذ يبكي نادماً مسترحماً . فسارع الأصدقاء الى إعلام الشرطة بالأمر ونصحوا مياً بمغادرة منزلها الى حين . ولما جاء الخاطف وطوّق رجاله المنزل تصدّى له رجال الشرطة وساقوه مع أعوانه الى الخفر . ثم افرج عنه بمسعى من السلطات الفرنسية ولم يطل به الوقت حتى غادر مصر الى غير رجعة .



هنا أنتهي من الحديث عن شخصية مي كما تعكسها أقوال عارفيها وأهل ندوتها ، إبان تألق هذه الشخصية وبلوغها ذروة الشهرة والإشعاع . وانتقل الى موضوع الافول الذي أصاب ميّاً حين ألمّ بها العُصاب وأدى الى انقطاعها التدريجي عن الانتاج . فأثبت ما رواه أصدقاؤها ومعارفها وسواهم حول الموضوع . وأهتدي بآراء أهل البحث والتحليل السيكولوجي ، محاولة الوصول في النهاية الى تكوين رأي أو استنتاج .



إن فريقاً من الذين درسوا ميماً وانتاجها حاولوا الاستعانة ببعض نظريات التحليل النفسي ليثبتوا أنها كانت مصابة بعقد نفسية هي في رأي فرويد وأتباعه حافز هام من حوافز الانتاج الفني . كما حاولوا أن يجدوا في العقد التي افترضوا وجودها والتي تتصل بموضوع الحرمان الجنسي والامومي أساساً للظواهر العصابية التي أصابتها في سن الكهولة وأدت الى وفاتها المبكرة<sup>(١)</sup> . لذلك رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالذات تحت العنوانين الآتيين :

أ - هل كانت مي معقّدة ؟

ب - ظاهرة العصاب عند مي .

خلال النصف الأول من هذا القرن سطع نجم سجمند فرويد ، العالم الألماني الذي أعلن نظرية اللاوعي ، وخلاصتها أن عوامل لاواعية قائمة في منطقة خاصة من العقل تتحكم في سلوك الانسان وتكوّن عنده عقداً نفسية عرّفها بقوله إنها مجموعة

---

(١) راجع «مي في حياتها المضطربة» لجيل جبر ، دار بيروت ١٩٥٣ ، ومقالتي عن مي لمارون عبود في « جدد وقدماء » ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٢ - ١٣٧ ، تحت عنوان « شيء عن مي » و « ما بين مي وجبران » . ومقالة عن مي لفؤاد سليمان في « صوت المرأة » عدد خاص بمي زيادة ، ٩ تشرين الأول ١٩٤٩ ، ص ١٠ - ١١ تحت عنوان « المأساة » .

عناصر ذهنية ذات قوة انفعالية ، أو رغبة مكبوتة تنكشف في حالات تداعي الأفكار وفلتات اللسان والاسترسال في الحلم أو في الهذيان . وبعبارة أبسط ، العقدة النفسية حالة انفعالية تسيطر على الفرد ، فقد تكون تعلقاً طاعياً بشخص أو بشيء أو بعقيدة . أو تكون على النقيض ، كرهاً عنيفاً لشخص أو لمذهب ما .

أهمية فرويد أنه كشف دور الكبت ، لا سيما الكبت الجنسي ، في تكوين العقدة التي سبق وصفها . فالإنسان في رأيه يعيش حياة داخلية تمثل نفسيته وميوله الحقيقية ، وحياة خارجية يتلبس فيها بشخصية أخرى تراعي المواضعات والتقاليد الاجتماعية . وتصبح شخصيته الحقيقية مكبوتة ، غارقة تحت طبقة كثيفة من الرياء والتصنع الاجتماعي . لكن المكبوت من مشاعره يجد لذاته مصرفاً في ظروف غير عادية ، وإذا كان هذا الإنسان ذا موهبة فنية ، فإن عقده تشقّ لنفسها طريقاً إلى الخارج بالفن والكتابة ونحوهما من وسائل التعبير<sup>(١)</sup> .

العقد النفسية في نظر فرويد وأتباعه عقد وراثية عامة في

---

(١) راجع حول هذا الموضوع كتاب «تمهيد في النقد الحديث» للمؤلفة ، (دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٧١) «النقد السيكلولوجي» ص ٢٦ - ٤٠ و ص ٧٦ - ٨٢ .



النوع البشري . إنها رواسب عهود فطرية عريقة في القدم .  
منها عقدة اوديب التي ترمز الى منافسة الابن لأبيه في حب الام .  
عقدة ايلكترا التي تشير الى تعلق البنت بأبيها او أخيها . العقدة  
الرجسية أي الانطواء على الذات الناشئ من عقدة اوديب .  
عقدة قايين وتعني كره الأخ لأخيه ومنافسته في حب الام . هذه  
الرواسب الجنسية الخفية تتلاشى عند أكثر الناس في سن انفتاح  
الفتى والفتاة على حب الجنس الآخر . لكنها عند بعض الأشخاص  
تسببها ظروف خاصة على الاستمرار . مثلاً ، في حال وفاة  
الأب وخضوع الولد لرعاية ام ترمقه بجنونها وسيطرتها ، قد  
تحتفظ عقدة اوديب بسلطانها وتجعل من صاحبها شخصاً منعزلاً  
عن المجتمع ، خجولاً في حضور الفتيات ، عاجزاً عن استمالتها  
أو الوقوع في حبهن ، لأن عقدة اوديب تكبله بأمه وتقف  
حاجزاً دون انطلاق مشاعره .

إن نظرية فرويد في موضوع العقد الوراثة كانت وما تزال  
مثار شك وموضوع مناقشة لدى تلاميذه وسواهم من علماء  
النفس . لكن واحداً من هؤلاء - أدلر - جاء بنظرية أخرى  
زعم أنها أقرب الى الواقع . هي نظرية العقد المكتسبة ، غير  
الموروثة ، ومنها ، على سبيل المثال ، « عقدة النقص » او  
« الشعور بالدونية » ، التي تصيب الفاشلين والمعدمين وذوي  
العاهات وأهل الطبقة الدنيا في المجتمع فتؤثر في سلوكهم بإحدى

طريقتين متناقضتين . فإما أن تجعلهم جبناء ، ضعاف الثقة بذواتهم ، عاجزين عن المغامرة والطموح . أو تثير فيهم العزم والرغبة في التحدي ومقارعة الأهوال حتى التهور . والتاريخ يقدم لنا أمثلة من هؤلاء الموتورين والمستضعفين الذين جعلهم الظلم والإذلال أبطالاً مغامرين . منهم عنزة العبسي الذي دفعه استبداد قومه وتحقيرهم له الى الكفاح المستميت والإتيان بالعظام . كما يقدم التاريخ أمثلة أخرى من أفراد وجماعات أورثها الذل والضعف خملاً وتقهقراً وأدى بها الى التلاشي والانقراض .

الى جانب « عقدة النقص » التي يكثر الحديث عنها ، يذكرّون عقدة العظمة والانتفاخ التي ربما اشتقت من عقدة النقص . وعقداً أخرى تتخذ شكل العنف والشذوذ في بعض الظواهر الانفعالية ، كالحسد الآكل ، الهمّ المذيب ، القلق الطاغى ، الطموح المتهور ، البخل القاتل ، التعصب الأعمى والهوس الجنسي وغير ذلك .

هناك فئة من المفكرين ، منهم الفلاسفة الوجوديون خصوم الجبريّة ، يرفضون نظرية اللاوعي لأنهم ينكرون استعباد الإنسان لعوامل قسرية تسيّره رغم إرادته . فالإنسان في رأيهم صانع ذاته وسيد مصيره وليس عبداً للفرائز التي سمّاها القدماء قدراً .

وبين تضارب النظريات وتصارعها نقف لنسأل : ما علاقة  
العقد النفسية بالفن والأدب ؟

إن أرباب التحليل النفسي يثبتون دور العقد النفسية في حفز  
الموهبة الفنية وتوجيهها . فالفن - ومنه الأدب - تعبير عن  
أحلام وانفعالات يسندها الفنان الى أبطال قصته او مسرحيته  
او الى بطل قصيدته الغنائية . او يعبر عنها تعبيراً رمزياً ،  
مبرقعا في لوحاته اذا كان مصوراً ، في تماثله اذا كان نحاساً ، في  
موسيقاه اذا كان موسيقياً . ويضيفون ان الأحلام والانفعالات  
التي تجد لذاتها منفذاً في نتاج الفنان ليست إلا عقداً نفسية تصر  
على التحرر والخروج بطريقة التعبير الفني الذي يحدث في نفس  
الفنان انفراجاً وراحة لأنه مصرف بريء لرغبات تلح عليه  
وتقلقه . ومن هنا يقولون إن كل فنان معقد ، وليس كل معقد  
فناناً . ولكن أصحح أن كل فنان معقد ؟

لا بد من لفت نظر القارئ - في هذه المناسبة - الى مبدأ  
تجب مراعاته في النقد كما في سواه من فنون البحث . مبدأ  
التمييز بين الحقائق والنظريات . فالموضوع الذي عرضته لا  
يعدو أن يكون نظرية تحتل الرد والمناقشة وقد تعرضت في  
الآونة الأخيرة لهجمات شتى عليها عدد من الباحثين

المعاصرين<sup>(١)</sup> .

كان القدماء يلاحظون في سلوك بعض الأفراد من شعراء وغيرهم مقداراً من الغرابة والشذوذ فينسبون ذلك الى الوسواس والتطير ويذكرون أثر البيئة في تكوين أخلاق الأفراد والجماعات فقالوا في ابن سهل ، أحد شعراء الأندلس : اجتمع فيه ثلاثان ، ذل العشق وذل اليهودية فرق غزله ولان .

واليوم إذا حاولنا درس الأشخاص الذين نعاشرهم ، فقلما نجد بينهم من لا يشكو شذوذاً أو غرابة خلقية يصح أن نسميها عقدة نفسية في ضوء التحليل النفسي . فليس مستغرباً أن نكتشف مثل هذه العقد عند الأدباء والفنانين الذين يوصفون بفرط الحساسية وسرعة الاستجابة للمؤثرات . لكن الخلاف عند أهل البحث يقع على التسمية وعلى العوامل الكامنة وراء ما يسمونه عقدة نفسية : أوراثية أم مكتسبة ؟ أصادرة عن وعي أم لا وعي ؟

---

(١) هاجم النقد التحليلي في أوائل هذا القرن الكاتب د. ه. لورنس في كتابين : (1921) «Psychoanalysis and the Unconscious» (1922) «The Fantasia of the Unconscious»

وفي عصرنا الحاضر كثرت الاعتراضات على نظريات فرويد ومناقشاتها وتعديلاتها . راجع ص ١٠ من مقدمة «Psychoanalysis and Literature» Ed. & with an introduction by Hendrik M. Ruitenbeek, (N. Y. 1964)

إن الذين درسوا نتاج جبران الفني والكتابي لاحظوا تقديسه للمرأة وتعبدّه للأم والأمومة بنوع خاص . وفي وسعنا تحليل هذا الموقف إذا ذكرنا دين جبران للمرأة عموماً ، وبنوع خاص لأمه التي برهنت في حياتها عن بطولة كان يفتقر إليها أبوه . فقد كابدت مشقة السفر الى اميركا سعياً وراء الرزق ، مصطحبة اولادها الأربعة الذين كانوا جميعاً قاصرين إلا واحداً . فهل نعزو تعلق جبران بأمه الى عقدة اوديب الوراثة ؟ أم نقول أنه ظاهرة معقولة ونتيجة طبيعية لشجاعته وذكائها وتضحيتها في سبيل أولادها ؟

وإذا حاولنا درس مي على ضوء التحليل النفسي ، هل نجد في تصرفها وفي أدبها دلائل تعقدات نفسية ؟ هل كان طموح مي وبلوغها ذروة النجاح الأدبي مظهراً لشعورها بالنقص ورغبتها في تحدي الظروف القاسية التي نشأت فيها ؟

كانت مي تنتمي الى اسرة متوسطة الحال ، لا تشكو البؤس ولا الخمول . والدها يمارس التعليم لكن لديه مورداً كافياً أمكنه من إرسال ابنته الى مدرسة داخلية كانت في ذلك الحين من أفضل مدارس البنات في لبنان . وكانت مي فتاة جذابة ، ذكية ، أكسبها نجاحها في الدروس اعتزازاً وثقة بنفسها . وكانت وحيدة أبويها ، لا أخ ولا أخت ينافسها في الحب الذي أغدقاه عليها .



ليس في أخبار مي وأحاديث طفولتها ما يدل على شذوذ أو غرابة في تصرفها . وإذا كان طموحها الكبير الذي جعل منها شاعرة ، خطيبة ، ناقدة وباحثة ، أمراً غير عادي بالنسبة لمعظم فتيات عصرها ، فلأنها اكتشفت في نفسها مواهب لم تكن لسائر الفتيات ، فعمدت الى استغلالها . مع هذا ، لا ننكر أن تألثمها لوضعها الأنثوي ، ولموقف المجتمع ، لا سيما المجتمع الشرقي ، الذي يحقّر المرأة ويقسو عليها ، أحد العوامل التي أثارت رغبتها في تحدّي الرجال ومنافستهم في الكتابة .

إذا راجعنا كتابات مي من شعر ونثر ، لا نلاحظ فيها موضوعاً يستأثر باهتمامها دون سواه ، ولا نصطدم بعاطفة طاغية ، جارفة ، تسيطر عليها . معظم موضوعاتها هي موضوعات الرومنطيين ، وشغفها بالطبيعة شغفهم . في بعض مذكراتها تصرّح أن حبّها مثلث الأقانيم : البحر والسماء والعيون ، وتتمنّى أن تكون بحاراً تناجي عظمة البحر وتكافح الأمواج والزوابع ( ص ١١٥ من « مي في مذكراتها » لجميل جبر ) . على مثال ادباء القرن التاسع عشر في الغرب ، يلجّ عليها موضوع البحث عن السعادة والتساؤل عن معنى الوجود ، فتكرّس لهذا الموضوع قسماً من خواطرها في « ظلمات وأشعة » ، حين وقفت أمام كوة الحياة خائفة متردّدة ثم لبّت نداء الصديق فسارت مع السائرين وخاضت غمار الكفاح المرهق الذي يسوق البشر بعصاه . لكنها لم تستسلم للشخصية العامة بل ظلت رغم

وجودها بين الناس منفردة كأنها ليست منهم . أما السعادة التي نشدتها فظلت ضرباً من الوهم .

إذا كانت مي في موضوعاتها واسلوبها متأثرة بالرومنطيين فهي بريئة من تطرفهم ومبالغاتهم العاطفية والخيالية . ولا نرى في كتاباتها ما نراه عند بعض تلميذات الرومنطيين من تأليه للحب وشوق وتعبّد للرجل وشكوى من حب فاشل وندب لحبيب راحل<sup>(١)</sup> . فموقفها من الحب أشبه بموقف الكلاسيكيين الذين دعوا الى ضبط العاطفة والسيطرة عليها . أو بموقف الصوفيين والانسانيين الذين آمنوا بالحب المثالي الذي يجعل العالم هيكلًا تخشع فيه النفوس فتعجثو للعبادة والصلاة والاتحاد الروحي مع جميع قوى الكون<sup>(٢)</sup> .

إن كتاباتها إجمالاً تتجه اتجاهاً اجتماعياً ، مثالياً ، يدل على نجاحها في تحويل طاقتها الجنسية ، وغير الجنسية ، الى مجار إنسانية رفيعة . وفي بعض مذكراتها تشير بصراحة ووضوح الى هدفها من الكتابة فتقول : « أتمنى أن يأتي بعد موتي من ينصفني ويستخرج من كتاباتي الصغيرة المتواضعة ما فيها من روح الاخلاص والصدق والتحمّس لكل شيء صالح وجميل »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) راجع مثلاً اشعار الكونتيس دو نواي ، ومارسلين ديورد فالورد وغيرهما .

(٢) ص ٦٢ من « مي في مذكراتها » ، نشر جميل جبر .

(٣) « باقات من حداثتي مي » لفاروق سعد ، ( داخل الغلاف الخارجي ) .

إذا حاولنا استكشاف شخصيتها من خلال قصصها ، لاحظنا في صورة « شجيّة » ( قصة الحب في المدرسة ) طفلة لعوباً ، تحب الحرية ، ترغب في العشرة والصدقة . شديدة التعلق بفتاة أكبر منها سناً تقوم لها مقام الأم ، غيورة تريد الاستئثار بحبها وتكره خطيب الفتاة الذي ينافسها فيه . ان صورتها في « شجيّة » صورة طبيعية لطفلة في العاشرة ، كثيرة الحيوية ، خفيفة الروح ، مرهفة الشعور .

أما في « الشمعة تحترق » ، قصة الراهبة التي تستغفر الله لأنها في ساعة ضعف شعرت بانجذاب عاطفي الى الجندي الشاب الجريح الذي قامت على خدمته في المستشفى ، فإن ميّاً تعبّر عن إعجابها بنضال الراهبة في سبيل المثل الأعلى وتحس بتعاطف يشدّها إليها . لأن ميّاً كانت متعبدة . تجد راحة وقوة في الصلاة والمناجاة<sup>(١)</sup> . ويظهر لنا من أخبارها انها كانت حريصة على القيام بواجباتها الدينية مع تأكيدها بأنها أخذت عن والديها روح التساهل الديني واحترام جميع الأديان . فتديّننا لم يكن تعصباً ولا تهوؤساً<sup>(٢)</sup> .

لقد استنتج طه حسين من حياة مي المثالية حكماً يدين به

---

(١) راجع رأيها في الصلاة ص ١٧٣ من ( مي في مذكراتها ) نشر جميل جبر .

(٢) ص ١٥٣ من ( مي في مذكراتها ) م . ص .

موقفها المتزمت الذي ساقها الى العزلة التامة في أواخر أيامها فقال من حديث أدلى به الى محمد عبد الغني حسن<sup>(١)</sup> : انها تظهر في حياتها الأدبية بمظهرين مختلفين أشد الاختلاف ، مظهر الأدبية البرّزة التي لا تحتجب ولا تستغفي ولا تلتقي الرجال حين تقتضي الظروف لقاءهم وإنما تنظّم الاجتماعات الأدبية التي يشترك فيها الرجال والنساء اشتراكاً حرّاً ، سمحاً ، فيه كثير جداً من الرقي والإمتياز . أما المظهر الثاني فهو مظهر مي التي آثرت الوحدة وألحت على نفسها في العزلة وتدرّجت فيها تدرّجاً بطيئاً في أول الأمر لكنه سريع ملحّ في آخر الأمر .

إن طه حسين يرى في سلوك مي تناقضاً . فبينما هي تُعرض عن مقابلة الرجال في الظروف العادية التي يمكن أن تؤدي الى عقد الصداقة والتفاهم الروحي بين الجنسين ، إذا هي تستقبلهم في ظروف غير عادية . في الندوة او الصالون الذي يقيم بينها وبينهم حجاباً من الكلفة والتصنع . وكأنني به يقول ان مي لم تسلك في علاقاتها الاجتماعية الطريق الذي يمهّد لها العثور على رفيق العمر او على القلب الذي يفهم قلبها . وحين ظنت أنها وجدت في جبران ضالّتها المنشودة أدركت أنها في سعيها تحاول

---

(١) ص ١٧٨ - ١٨١ من « مي اديبة الشرق والغروب » لمحمد عبد الغني حسن ، م . س .

المستحيل لأن المسافات البعيدة حالت بينها وبينه ، الى جانب مسافات اخرى مصدرها موقف جبران السلي من الزواج .

لذلك يقول العقاد الذي كان هو ايضاً من روّاد ندوتها ، يشارك طه حسين إعجابه ببي وإخلاصه لها : « وقد كنت كلما ازددت معرفة ببي وحياتها وندوتها وفي بيتها ، أشعر بحنان هؤلاء الأفاضل الأبوي نحوها فإنهم ولا ريب كانوا يقصدون التسمية عنها ويدركون من بواكير صباها أن فرط التزمت في طويتها يجاوز حدّه المأمول ، وأنها توشك أن تعاني كثيراً من عادة العزلة النفسية التي جنت عليها في أخريات أيامها . وأنها تغالب شجناً كميناً لانطوائها الشديد على ذاتها ، فميل الى أنه مزيج من الصدمة العاطفية وشعور التبتل العميق في سليقتها الدينية » (١) .

إن طه حسين والعقاد كليهما يصرّحان ان في سلوك مي إمرافاً في التحفظ والعزلة . يعزوه الأول الى التناقض والشذوذ ويعزوه الثاني الى صدمة عاطفية وشعور التبتل العميق في سليقتها او غريزتها الدينية . وليس في أخبار مي ما يطلعنا على حقيقة

.....  
(١) « رجال حول مي » ، مقال للعقاد في الهلال عدد آذار ١٩٦٢ ،  
نشر في « باقات من حداثتي مي » لفاروق سعد ، نشر زهير بعلبكي ،  
بيروت ١٩٧٣ .

وجود الصدمة العاطفية او عدم وجودها . وتبقى أسباب  
تحفظها وعزلتها على شيء من الغموض .

إلى هذا يمكننا أن نضيف أن ميا كانت منذ حدوثها تشعر  
بالغربة . غربة الولد الوحيد الذي لا يؤنسه أخ أو أخت . غربة  
اللبنانية التي تقيم في ارض غريبة ، بعيدة عن جبالها وأحراجها ،  
وتحنّ الى ما يسمونه « وطن »<sup>(١)</sup> . غربة الأنثى في مجتمع  
يسيطر عليه الذكور ولا يحترم المرأة إلا إذا كان لها من مالها أو  
منزلة قومها أو مكانة زوجها أو نبوغها وتفوقها ما يلفت إليها  
النظر . لذلك نراها تألف الوحدة وسط ضجيج الناس وهياجهم ،  
يساورها الحزن في يوم النصر وحولها تتعالى الهتافات والزغاريد .  
تخشى التطرف في مواقفها الاصلاحية فلا تريد للمرأة التمرد ولا  
الإسراف في التحرر . تعطف على الضعفاء والتمسأء ، بشرأ كانوا  
أم حيوانات أم أشجاراً<sup>(٢)</sup> . ترغب في الصداقة التي تمنحها سروراً  
وانفراجاً فتهدى مذكراتها إلى صديقتها سيدونيا ريجو مع  
كلمة تصدير تقول فيها : « أتقدم إليك بهذه الصفحات المسلوخة  
من فؤادي . عندما فقدت بولين التي كنت أهديتها زهرة الصداقة  
حلت محلها صديقة أشد وفاء منها وهذه الصديقة هي أنت يا

(١) راجع مقالها : « أين وطني » في « ظلمات وأشعة » .

(٢) راجع « دمة على المفرد الصامت » ، « بكاء الطفل » ، « أيها  
الغريب » ، في كتابها « ظلمات وأشعة » .



عزيزتي سيدوني ، فرسائك الملأى بالعدوبة والمودة والانفتاح  
بعثت غير مرة اشعة الشمس إلى روعي التي جلدها  
الوحدة « (١) .

ولكن يبدو أن الظروف القاسية التي واجهتها مي منذ  
١٩٣٠ زادت شعوراً بالغربة وربما كان هذا الشعور المتزايد أول  
مظاهر العصاب الذي سيكون موضوع البحث التالي .



---

(١) ص ١٨٣ من ( مي في مذكراتها ) م . س .



## ظاهرة العصاب عند مي

ان المطلاع على سيرة مي في طفولتها وشبابها يحاول ان يبصر من خلال درسه لها ظروفًا وعوامل ممهدة لذلك الصراع النفسي الذي هاجمها منذ ١٩٣٥ ولازمها فترات متقطعة حتى وفاتها سنة ١٩٤١ .

ذلك لان الباحثين الذين تناولوا بالدرس موضوع العصاب<sup>(١)</sup> او الاضطراب النفسي ، يؤكدون ان اعراضه تظهر في سن الطفولة بتأثير عوامل بيئية . فمن العصابين من يجاوزون تلك الاعراض ويتحررون منها . ومنهم من تلازمهم بشكل قليل او

(١) بعض المصادر حول موضوع العصاب :

Horney, Karen, «New Ways in Psychoanalysis», New York, 1959.

Costello, Charles Y. (Editor), «Symptoms of Psychopathology», John Wiley & Sons, U.S. 1970.

كلمتا Neurosis, Psychosis في

Encyclopedia & Dictionary of Medicine & Nursing, Miller & Keane. Collier's Encyclopedia No. 17

Encyclopedia Britannica 1968

كثير ، فتخلق فيهم ما يسمونه « الخلق العصابي » ( بضم الخاء ) ،  
أو المزاج العصابي ، الذي تميز به عدد من المشاهير المعروفين  
بالشذوذ الفكري والانحراف الخلقى . منهم روسو ، جيراردو  
ذرفال ، بايرون ، ادغار آلن بو ، بودلير ، فرلين ، رامبو ،  
دوستويفسكي وغيرهم .

أصحاب هذا الخلق أفراد سريعو التأثير والانهيار . يعجزون  
عن مجابهة الازمات والخسائر والظروف الصعبة . تلازمهم  
تصرفات طفولية وميول نرجسية وحساسية زائدة لأراء الناس  
وانتقاداتهم .

يقول أولئك الباحثون ان الوراثة قد تلعب دورا في خلق  
العصاب لكنهم يرفضون بحث الموضوع من هذه الناحية لأن  
المعلومات المتوفرة حول موضوع الوراثة هي من الضالة بحيث  
لا تصلح أساسا يصح الاعتماد عليه .<sup>(١)</sup> لكنهم يلجئون على  
اثبات دور البيئة في تكوين العصاب ويذكرون من عوامله ، في  
الطفولة على الاخص ، مرور الولد بتجارب فشل وسلسلة خيبات  
وصدمات تثير في نفسه مشاعر بغض ونفور من شخص يعزو  
اليه اسباب فشله . وقد يسوقه هذا النفور المستحكم الى كره  
ذاته وتحقيرها والرغبة في الانتحار . ومن تلك العوامل ، وجود

---

Karen Horney, «New Ways in Psychoanalysis» (١)  
p. 276

الولد في بيئة غير صالحة لنموه السويّ أو الطبيعي ، بيئة ضغط ومعاكسة تجعله قلقا ، خائفا ، عاجزا عن مجابهة المشاكل التي تعرض له . فيلجأ الى وسائل دفاعية ذهنية ، كالتبرير اللامنطقي ، وممارسة الكبت والهروب ، احالة اخطائه على سواه ، تقلّص شخصيته الى حد الاندماج بشخصية اخرى والاعتماد المطلق عليها لقضاء حاجاته وتسيير اموره . فاذا لم يتحرر من هذه الاعراض في سن باكورة ، ينشأ اتكاليا ، خائر العزم ، ويصبح عصابيا مزمنا ، تتناوبه حالات ترمز الى الصراع اللاواعي . منها القلق الذي لا يجد تبريرا كافيا ، الهبوط النفسي لدى حلول مصيبة او خسارة ، اجترار الماضي ، الانغماس في مشاعر ندم على أخطاء ماضية ، تحقير الامكانيات الذاتية يسوق صاحبه الى الانكماش والرغبة في الانتحار .

ان ما وصل اليه من أخبار ميّ وما نقله مؤرخو سيرتها ، لا يشير الى صدمة او خيبة امل عانتها في صغرها . ولا نستطيع القول انها قضت طفولتها في بيئة ضغط وحرمان . لا ريب انها كانت في بيت والديها وحيدة مدلّلة ، لكن التدليل لم يفسدها ولم يجعلها اتكالية ، ضعيفة الشخصية . في مدرسة عينطورة ، حيث جو الدير قد يوحى بالكآبة ، كانت تجد في كتابة المذكرات تنفيسا وفي عشرة الكتب والرفيقات ، كما في عشرة الطبيعة ، أنسا ولهوا .

في مصر استكملت مي نمو شخصيتها وانطلاق مواهبها .

وجدت في التسامي طريق السعادة وفي الانتاج الفكري مصرفاً للطاقة الجنسية والعاطفة الامومية . قال فيها الواصفون انها فتاة عذبة الروح ، رضية الصفات ، ذات انوثة جذابة . تكاد الابتسامة لا تفارق محياها<sup>(١)</sup> . أصابت من النجاح الادبي والاجتماعي ما عجز عنه رهط كبير من ادباء عصرها فلم تعرف التجارب الفاشلة التي تسوق اصحابها احيانا الى الاضطراب والعزلة النفسية . لقيت من اعجاب عارفها ومودة اصدقائها ورعايتهم ما يمنحها تفاؤلاً وثقة بالنفس وايماناً راسخاً بمواهبها .

كانت تتلقى من جيش المعجبين بها رسائل الاطراء وأحيانا اشعار الحب والغزل . فتجيب عنها شاكرة وتقف عند حد الشكر . ويلوح لنا ان تلك الرسائل كانت في مجملها تتبع نهجا تقليديا خطته شعراء العرب القدامى ، لا سيما شعراء العصر العباسي ، الذين اصطنعوا الغزل اصطناعا بنساء حقيقيات أو وهميات ، واتخذوه مصرفاً لانفعالات عابرة أو أداة لهو مريح . من هذا النوع غزل ولي الدين يكن بمي وغزل اسماعيل صبري وسواهما .

وقد نشر لها محمد عبد الغني حسن في كتابه : «مي اديبة الشرق

---

(١) «مي اديبة الشرق والعروبة» م. س. ص ١٣ - ١٤ .

والعروبة « (١) استنادا الى « حياة الرافعي » لمحمد سعيد العريان ،  
رسالة موجّهة الى هذا الشاعر الذي كان احد المتغزلين بها ، جاء  
فيها ما يدل على تجاوب حبي بينها وبينه :

« شعرنا اول اللقاء بما لا يكون مثله الا في التلاقي بعد  
فراق طويل . كأن في كلينا قلبا من بعيد . ولم تكد العين  
تكتحل بالعين ، حتى اخذت كلتاهما أسلحتها واثبت اللقاء  
بشدوذه انه لقاء الحب . »

يضيف العريان حول هذا الموضوع : « كان يحبها حبا عنيفا  
جارفا لا يقف في سبيله شيء . ولكنه حب ليس من حب الناس .  
حب فوق الشهوات وفوق الغايات الدنيا لأنه ليس له مدى ولا  
غاية » . (٢)

ان قول العريان هذا يؤيد رأينا في نوعية واهداف الرسائل  
الغزلية التي كانت ترد الى مي من مختلف المصادر . اما رسالة  
مي الى الرافعي فان من ينعم فيها النظر يتضح له انها مدسوسة  
لأنها بعيدة كل البعد عن الاسلوب الذي نعرفه لمي ، وانما يطغى  
عليها تصنع الرافعي وتحذلقه في « اوراق الورد » ، وليس في  
ما يدل على صلة حميمة بينها وبين صاحب « رسائل الاحزان » .

(١) « مي أدبية الشرق والعروبة » م . س . ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .



وقد اجادت وداد سكا كيني في كتابها : « مي زيادة في حياتها وآثارها » مناقشة هذا الموضوع وبلغت غاية التوفيق في الرد على سعيد العريان<sup>(١)</sup> . وظلت مي في حياتها الخاصة مثالا للمحافظة والتدين العميق . لكنها اختارت ان ترسل جبران المقيم في اميركا وقد جذب انتباهها بكتاباتة الثائرة واسلوبه الجريء . وتدل احدى رسائلها على انها أحبتة عن بعد . لكنها لم تلق منه تجاوباً يذكر ، وانطوت صفحة تلك العلاقة الحبيبة الغربية ، منذ ١٩٢٥ .

اما علاقتها بأقاربها فيشوبها بعض الغموض فهي بعيدة عنهم ولم تسمح لها الظروف بأن تقيم معهم علاقات ودية ، وعندها من مشاغلها وعلاقاتها الفكرية ما يملأ وقتها ويمنعها اكتفاء ورضى . كانت تملك ثروة مالية متواضعة تؤلف ضمانا لمستقبلها . وثروة فكرية عظيمة القدر تستمد منها نشاطاً وروحاً دائمين . وقد تربعت على عرش الشهرة وظلت محط أنظار الناس حتى في السنوات التي تضاعل فيها إنتاجها وأخذت تحتجب عن الناس .

إن سيرة مي حتى السن التي أصيبت فيها بأعراض الهبوط النفسي ( ١٩٣٥ ) لا تنذر بتلك النهاية المحزنة التي انتهت إليها . وإذا نحن حاولنا أن نستوحي من كتاباتها ما يلقي ضوءاً على

---

(١) « مي زيادة في حياتها وآثارها » م . س . ص ١٢٦ - ١٢٧ و ٢٠٤ .

شخصيتها ، وجدنا في حرصها على جمال التعبير وطرافته دليلاً على رهافة ذوقها وقوة إحساسها الفني . في مواقف الجد ، لا تخشى اللجوء الى النكتة طلباً للتنويع والترفيه . ولا تجد حرجاً في التعبير عن انفعالاتها بهتافات لبقة ، مثل قولها : « هللوا ، إشارة إلى الطرب والبهجة . « يا حفيظ » ، « يا إلهي ! » في موقف دهشة وسخر .

شديدة الرغبة في المعرفة ، كثيرة التساؤل عن أسرار الغيب وغوامض الوجود ، مع علمها بأن إدراك تلك الأسرار يحاوز طاقة البشر . ذات شعور إنساني يخرجها من دائرة الذات إلى دائرة الوجود الأوسع ، وفي ذلك تخالف أصحاب المزاج العصبي الممتازين بالانطواء . في « ليلة عيد النصر »<sup>(١)</sup> حين « يموج على الآفاق لآلاء المواسم والأعياد ، ومن أحشاء المدينة يصعد هزج النشوة والظفر » ، تسري إليها عدوى الطرب ، فتعتلي سطوح الحمى لتشرف على فرح الفارحين وتنال منه نصيبها . في تلك الدقيقة بالذات يستوقفها ويدمي قلبها منظر العجوز التي احذوب ظهرها ونثر شتاء العمر على هامتها ثلج الشيخوخة ، وهي ، باسم القانون ، تطرد من الغرفة الصغيرة القائمة في طرف السطح . تطرد من المنزل إلى تحت قبة السماء ، لأنها منذ خمسة شهور لم تؤدّ للمالك بدل الايجار .

(١) إحدى مقالاتها في « ظلمات وأشعة » . نشر مؤسسة نوفل ص ٥٦ .

وتردد مي هنا : « عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : عامل الحزن وعامل السرور . على أن قطرة حزن في عمقها توازي بحر سرور في اتساعه » .

إن الكآبة التي نلمحها في بعض انتاجها والتي يعزوها فريق من النقاد إلى تأثير الأدب الرومنطقي أو إلى انفرادها في بيت أبويها ، ليست كآبة طاغية أو ملحّة<sup>(١)</sup> . في « ظلمات وأشعة » ، وهو كتاب أفكارها الجميلة ، لا تظهر الكآبة إلا في « نشيد نهر الصفا » ، « يوم الموتى » و « أين وطني » . كتبت المقال الأول تحت تأثير الحرب العالمية الأولى ، إذ كان يدوي في مخيلتها هدير المدافع ، تتمثل صور الحرب المخيفة ، ويملاً أذنها ضجيجها التافه ، وتضجر نفسها من معانيها السطحية ومراميها الخبيثة ، فتناجي النهر قائلة : جئتكم تعباً الروح والجسد معاً .

الثاني أوحى به إليها يوم الموتى ، اليوم الذي يتذكر فيه المسيحيون موتاهم فيزورون القبور حاملين إليها الزهور والذكريات . فمن الطبيعي أن تراودها فيه التأملات الحزينة .

---

(١) يعتقد شيخ الأزهر مصطفى عبد الرازق ، وكان من رواد ندوة مي ، خلافاً لما يظنه البعض ، « أن ميتاً لم تكن في أصل فطرتها كئيبة . وقد يكون مجهودها العقلي أعان الظروف السيئة التي صادفتها في سنها الأخيرة ، على ما جدت لها من كآبة وحزن » . « مي أدبية الشرق والعروبة » م . م . ص ١٦٠ .

لكن الموضوع يلهمها كذلك أفكاراً فلسفية ، تفاؤلية ، إذ ترى في الأرض والبحار والأفلاك مدافن دهرية ، وفي الوقت نفسه ، معامل توليد وتكوين . لأن الحياة تنشأ من الموت ، وعيد الموتى هو كذلك عيد الأحياء ، « عيد الناموس الفرد الذي يعجن أشكالاً تبدعها الطبيعة العلماء ... ولا يفتأ يستخرج الجديد من القديم ويدغم القديم في الجديد ليم للأحقاب تعاقبها بالبشر والأفلاك والزمان في مجاهل اللانهاية الخالدة » .

أما مقالها : « أين وطني ؟ » ، فهو تعبير عاطفي عن نفس حائرة ، ممزقة بين الطوائف المتنافرة والمذاهب المتعادية والأوطان المفتقرة إلى مقومات الوطنية . مي لا تتكلم هنا باسمها فقط بل تشير الى الفوضى السياسية والمذهبية والفكرية التي كان ولا يزال يتخبط فيها الشرق العربي بأسره . تحنُّ إلى وطن تستطيع الإيمان به والاطمئنان إليه ، سواء أكان هذا الوطن مصر أم لبنان أم أي قطر عربي آخر . لقد استوحيت هذا المقال من مؤتمرات الصلح التي جعلت الدول القوية تتلاعب بمقدِّرات الدول الصغيرة كما بجارة الشطرنج ، فتقدِّم وتؤخِّر ، تطرح وتقسم ، تميّت وتحيي ، هازئة بحاجات الشعوب وأمانها ، غير عابئة بسوى مصالحها الأثنية .

إن ميأ في خطبها وكتاباتهما ، تبدو متزنة الشخصية ، معتدلة التفكير ، تغلب العقل على المصاطفة وتقيس الامور بمقاييس

المنطق . تميل إلى الثورة والتجديد لكنها تكره التطرف والتمرد  
والفوضى (١) . ولعل انجذابها إلى جبران كان من نوع انجذاب  
النقيض إلى النقيض .

أسلوبها الجديد لا يسرف في الجدة ولا يقطع صلته بالقديم .  
أفكارها جريئة غير متهورة . تريد للمرأة أن تتعلم وتتحرر  
وتمارس أعمال الرجال ومهنهم ، من غير أن تتنكر للزواج  
والامومة .

وما نجاح مي في مهنتها الكتابية سوى دليل نجاحها في إثبات  
ذاتها ، وإرضاء طموحها ، والتغلب على تقاليد البيئة التي ترى  
في المرأة مخلوقاً عاجزاً ، وظيفته إمتاع الرجل وإرضاء الناظرين  
والانكماش في دائرة الخمول والتبعية .

---

(١) يقول سلامه موسى في مقدمة كتابها : « بين الجزر والمد » ( نشر  
مجلة الهلال مصر ، ١٩٢٤ ) :

« فهي تسير الشباب في رغبته في تجديد اللغة والميل بها إلى التطور  
والاقلاع عن الجمود . وتسايه أيضاً في نزعتها إلى الإصلاح الاجتماعي أو  
الاشتراكي الذي كان سبباً في نهوض أوربا في الثلاثين السنة الماضية . وفي تشوقه  
إلى صوفية طليقة من القيود المذهبية والفروق الدينية التي كثيراً ما مزقت  
الوحدة الوطنية والرابطة القومية . ولكنها لما استقرت في نفسها من ذلك المزاج  
الذي يقوم لديها مقام الصابورة من السفينة ، نراها على الدوام معتدلة بحيث  
يقرأها الشاب الثائر فيرتاح إليها ، ويقرأها الشيخ المتزمت فلا يجد ما  
ينقم منها » .

كان نجاحها فوزاً للقضية النسائية التي كافحت في سبيلها .  
كان انتصاراً للقيم والمبادئ التي أحبتها وآمنت بها . وإذا  
صحّت نظرية فرويد الذي يدعو الى التسامي ( Sublimation )  
بديلاً للنشاط الجنسي ، فإن نجاح مي في نشاطاتها الادبية يعد  
فوزاً لنظريته ، وحصناً يقيها شرّ العصاب .

فما هي عوامل هبوطها النفسي ؟

قالوا : انها فقدت أصدقاءها وأقرب الناس إليها واحداً بعد  
آخر . ولي الدين يكن ، شبلي الشميل ، يعقوب صروف ،  
اسماعيل صبري ، والدها ثم جبران . فقدّت الخطوب المتوالية  
عزائنها وحطّمت نفسياتها وساقتها الى العصاب والموت .

هنا يحقّ لنا أن نسأل : ألم تتوقع ميّ أن يداهم الموت  
أصدقاءها ووالديها ، كما داهم سواهم من البشر ؟ هل ظنّتهم  
خالدين دون سائر الناس ؟ هل كانت من الضعف والالتكالية في  
حالة تجعلها عاجزة عن العيش وحدها كما تعيش كثيرات من  
الأرامل والمطلقات والعوازب ؟

إن امرأة لها مثل شخصية مي وتفكيرها ، لا يروعها فقد  
والديها ، وهو أمر لا بدّ أن يختبره كل إنسان في الوجود . ولا  
تخشى الانفراد ولها من منجزاتها وذكرياتها وأصدقاءها رفقاء

تأنس بهم وتركن إليهم<sup>(١)</sup> . وإنه لمن الأمور التي تثير العجب أن هذه الأدبية التي وقفت قلمها على بث الأفكار الشجاعة ، الداعية الى النضال والتحدّي والوقوف في وجه المصاعب ، عجزت عن تطبيق تلك الآراء على ذاتها ، فأهملتها إهمالاً فادحاً .

تقول في مقالتها : « غاية الحياة » : « الحب هو الرابطة الكبرى . كدت أقول الرابطة الوحيدة بين أجزاء الكون وبين الانسان والموجودات . وهو وحده دواء السّامة وبلسم التعزية الفعّال . وكيف نتناول ذلك الدواء ونتغذى بذلك القوت الإلهي ؟ السبيل واحد لا ثاني له وهو العمل » .

وتقول في فكتور هوغو ، من مقال كتبه بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته ونشرته في مجلة « الرسالة » سنة ١٩٣٥ : « استطاع ان يناضل الألم بقوة أقوى من الألم . واستغلّ جميع المصائب والمصاعب والحوائل لإنماء شخصيته واستحثاث مواهبه ،

---

(١) يقول محمد عبد الغني حسن في كتابه « مي اديبة الشرق والعروبة » ، الذي سبقت الاشارة اليه : « والحق أننا نظم ميأ ونظم البقية الباقية من خلصائها وأصدقائها اذا قلنا انها اصبحت وحيدة بعد موت اسماعيل صبري وشبلي الشميلّ وولي الدين يكن وملك حفني ناصف ووالديها وجبرائيل . نعم ، نظم وفاء هذه البقية الصالحة من أمثال احمد لطفي السيد ، ومصطفى عبد الرازق ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل وخليل مطران وانطون الجميتل وعباس محمود العقاد وهدى شعراوي . فكيف تصبح مي وحيدة وفي مصر هؤلاء من رواد ندرتها الأوائل ؟ » (ص ٥٤ من الكتاب المذكور) .



فكان سيداً في زمن عصفت فيه الأطماع وكثر فيه السادة  
والناهون .

وفي مذكراتها تقول <sup>(١)</sup> : « قضبان التوافق في السجن تنقلب  
أوتار قيثارة لمن يعرف ان ينفث في الجهاد حياة » .

وتقول أيضاً : « سعادة الإنسان طوع ارادته . فالرجل  
الشجاع الذي يعرف كيف يجعل كأس آلامه حلوة المذاق  
ويحوّل غذاءه الحقيّر الى أفخر المآكل ، ويجعل من الماء خمرته  
المعتقة بلونها وصفائها ، ومن مضجعه الحشن فراشاً وثيراً ، ويعرف  
ان يحل الأمل محل اليأس » .

وحين سئلت سنة ١٩٣٥ : « ما امنيتك في الحياة ؟ » ،  
أجابت : « أن تكون لي دائماً أمنية » .

ان مذهبها في الفقرات والأقوال التي اقتطفناها أعلاه هو  
مذهب الأقوياء المتفائلين القادرين على تذليل المصاعب وتحويل  
الألم الى غبطة . أولئك الذين وصفهم المتنبي بقوله :

وتعظم في عين الصغير صغارها  
وتصغر في عين العظيم العظام

\*\*\*

---

(١) « مي زيادة في مذكراتها » لجميل جبر ، دار الريحاني ، بيروت ،  
ص ٦٠ و ٢٣ و ص ١٨٠ .

لم تقطع مي صلتها بالناس ولا نشاطها الكتابي دفعة واحدة بعد وفاة والديها<sup>(١)</sup> بل ظلت تكتب في «المقتطف» و«الرسالة». وكان آخر ما نشرته ، في مايو ( أيار ) ١٩٣٥ مقالة من صنف النثر الشعري عنوانها «هوذا الربيع» ، خصت بها مجلة «الرسالة» التي كانت تنشر فيها أكثر كتاباتها في تلك السنوات . تتاجها في ذلك الحين ، على قلّة ما وصلنا منه ، ينم على قريحة ما تزال في إبان نشاطها وتوقّدها . منه اقاصيص ونقد وشعر منشور ، وقصيدة فرنسية عنوانها : « ارتياب » ، نشرتها منظومة في الفرنسية ، منشورة في العربية .

لكن يظهر أنها كانت في السنوات الثلاث التي تلت ١٩٣٢ تعاني آلاماً نفسية دفعتها الى التدرّج نحو العزلة والتلهّي بالتدخين او بمطالعة الكتب القديمة ، كتب التواريخ والآثار ومناجاة الأرواح ، حتى خطر لها ان تكشف امرها الى نسيبها الدكتور جوزيف زياده ، في رسالة كتبها في ايلول ١٩٣٥ وهذا نصها :

« منذ مدة طويلة لم أعد أكتب<sup>(٢)</sup> وكلما حاولت ذلك شعرت بشيء غريب يجمد حركة يدي ووثبة الفكر لدي .

---

(١) توفي والدها سنة ١٩٣٠ ووالدتها سنة ١٩٣٢ .

(٢) منذ أربعة شهور على وجه الضبط لأن آخر مقالاتها نشرت في أيار من تلك السنة ، في مجلة «الرسالة» المصرية .

« إني أتعذب يا جوزيف . ولا أدري السبب . فأنا أكثر من مريضة وينبغي خلق تعبير جديد لتفسير ما أحسّه فيّ وحوالي . إني لم أتألم أبداً في حياتي كما أتألم اليوم . ولم أقرأ في كتاب من الكتب أن في طاقة بشري أن يتحمل ما أتحمل . ووددت لو علمت السبب على الأقل . لكنني لم أسأل احداً إلا وكان جوابه : لا شيء . إنه وهم شعري تمكّن مني . »

« لا لا يا جوزيف . إن هناك أمراً يمزّق أحشائي ، ويميتني في كل يوم بل في كل دقيقة . لقد تراكت علي المصائب في السنوات الأخيرة وانقضت على وحدتي الرهيبة ، التي هي معنوية أكثر منها جسدية . فجعلتني أتساءل كيف يمكن عقلي أن يقاوم عذاباً كهذا ؟ وكان عزائي الأوحـد في محنتي هذه مكتبتي ووحدي الشعرية فكنت أعمل وأعمل كالحكومة بالأشغال الشاقة لعل أنسى فراغ مسكني . أنسى غصّة نفسي بل أنسى كل ذاتي . »

« إنه ليدهشني حقاً كيف اني استطعت أن أكتب هذه الرقيقة . ولعل الفضل في هذا يعود جزئياً الى اللفائف التي أدخلتها ليل نهار . أنا التي لا عهد لي بذلك . أدخلتها لتضعف قلبي . هذا القلب السليم المتين الذي لا يزال يقاوم » .

نستخلص من هذه الرسالة :

أن ميتاً مصابة باضطراب نفسي وبآلام لا تعرف سببها .

تشعر بوحدة معنوية او نفسية ، وبهذا تشير الى أن وجود أصدقاء حولها لا يبدد وحدتها . تلجأ الى التدخين لتنفّس ألمها كما سبق أن لجأت الى السياحة في سنتي ١٩٣٢ و ١٩٣٤ لتبديد همومها . ولشدة عذابها تفكّر في الانتحار .

قد ينطبق على حالة ميّ هذه نوع من أنواع العصاب يسمونه « الهبوط النفسي » ، « الإنهيار العصابي » او « الردة الهبوطية »<sup>(١)</sup> . تعريفه في « موسوعة ومعجم الطب والتمريض »<sup>(٢)</sup> : « هبوط عميق وطويل الأمد ، قد يخلقه موت شخص عزيز ، معاناة فشل أو خيبة أمل . يزول بعد زمن عند الشخص السوي لكنه يسيطر على العصابي الذي تتضاءل عنده إذ ذاك النشاطات الجسمية والعقلية ، يصاب بالأرق ، يفقد شهوة الطعام ، وإذا اشتدت عليه الحال ، يطلب الموت » .

في موسوعة كوليرز<sup>(٣)</sup> جاء تحت كلمة Psychosis (اختلال عقلي ) ما يأتي :

يجب التمييز بين العصاب والاختلال العقلي أو الجنون . ففي

---

(١) Depressive neurosis, depressive reaction, depression.

(٢) Encyclopedia & Dictionary of Medicine & Nursing (Miller. & Keane)

(٣) Collier's Encyclopedia (1968)

الأول ( العصاب ) تبقى شخصية المريض وإدراكه سليمين ، لكنه يشكو من حالة مزمنة تعود جذورها ، كلياً أو جزئياً ، الى بيئة ضغط وحرمان في الطفولة ، تجعله أشد توقراً من الإنسان السوي ، عاجزاً عن الاستمرار في العمل وعن الخروج من دائرة الذات ومواجهة المصاعب التي تعترضه . في حين أن الاختلال العقلي يتصل بتغيرات بنيوية غددية يصاحبها خلل في الوظائف الحيوية اجمالاً ، وتبدل ظاهر في الشخصية ، ينفصل فيه المريض عن الواقع انفصالاً يكاد يكون تاماً ، وتتزعزع عنده قوى الإدراك والملاحظة والوعي .

بناء على ما ذكر تكون حالة « الهبوط العصابي » أشد انطباقاً على وصف مي لذاتها من حالة « الاختلال العقلي » .

أمّا ما حدث بعد الرسالة التي وجهتها الى نسيبها فهو ان الدكتور زياده جاءها زائراً في القاهرة وأقنعها بضرورة مرافقته الى لبنان حيث أقامت في بيته مدة تأزمت فيها حالتها . فنقلت الى مستشفى الأمراض العقلية ( العصفورية ) . لكن أعراض التوتّر الانفعالي لازمتها هناك فأخذت ترفض الطعام والعلاج . تشكو الظلم والاضطهاد وتشمل بنقمتها الأطباء والمرضات وجميع الذين كانوا حولها . وفي ذلك المكان الشبيه بالسجن كتبت مذكرات سمّتها « ليالي العصفورية » لا تزال حتى اليوم

## مجهولة المصير .

لكن بعض الأصدقاء الذين بلغهم خبر سجنها وعذابها في « العصفورية » توسطوا لنقلها الى مستشفى الدكتور ربيز في بيروت ، حيث أصرّت على الشكوى واعتزال الناس . ثم تحسّنت حالتها تدريجاً بعد أن تعاون الأصدقاء وعدد من الصحافيين ، منهم فؤاد حبيش صاحب جريدة « المكشوف » ، على نجاتها ومؤانستها . وفي الحديث الذي أدلت به الى جريدتي « الحديث » و « صوت الاحرار » نراها تشكو بمرارة وألم أولئك الذين اتّهموها ظلماً بالجنون ، من أطباء وصحافيين ، وزعموا أنها تكسر الحديد وتخنق الأطفال . ثم تعبّر عن استيائها الشديد من المعاملة الخشنة التي لقيتها في « العصفورية » ومن الإهمال الذي أظهره نحوها رجال الأدب والقانون والجمعيات النسائية » (١) .

وتنال مي من الطبيب الاختصاصي تقريراً بشفائها فتخرج من مستشفى ربيز وتستأجر في رأس بيروت بيتاً تقيم فيه ويعود إليها نشاطها وهدوؤها . ويدعوها صديقها الكبير أمين الريحاني للاصطياف في بلدته الفريكة فترضى وتستأجر هناك بيتاً مجاوراً

---

(١) « باقات من حداثتي مي » ، م . س . ص ٢٤٤ - ٢٤٧ .

لأسرة الريحاني وتقضي برفقة اولئك الأصدقاء أيام صفاء  
واطمئنان .

ثم كانت محاضرتها حول «رسالة الأديب الى الحياة العربية» ،  
بدعوة من جمعية « العروة الوثقى » في الجامعة الاميركية . تلك  
المحاضرة التي أقنعت الجموع المتقاطرة لاستماعها بأن ميا في محنتها  
لم تفقد سحر بيانها ولا قوة تفكيرها .

إلا أن عودتها الى مصر ، بعد سنتين قضتها في لبنان ، بيّنت  
أن شفاءها كان وقتياً . ففي رسالة كتبتها الى أمين الريحاني  
بتاريخ ١٥ آب ١٩٣٩ ، بعد مرور سنة أو أكثر على مغادرتها  
لبنان ، تقول : « لست أطيق الآن أن يؤلمني او يزعجني احد .  
ولست أنيل الناس ثقتي ، شأني من قبل . وهذا دليل على أن  
في داخل نفسي شيئاً من الشيب كذلك » .

إن ميا في هذه الفقرة تشير الى التبدّل الذي طرأ عليها  
ودعاها الى التزام العزلة التامة . والذي نعلمه من المصادر أنها في  
هذه الآونة بالذات قطعت علاقاتها بأصدقائها . ردّت إليهم  
الرسائل التي تلقّتها منهم سابقاً ، ولزمت منزلها حيث عكفت  
على المطالعة ودرس التاريخ والآثار القديمة . وعبثاً كان بعض  
أصدقائها يحاولون اقناعها بالعدول عن عزلتها تلك ، لكنّها  
تشبّثت بها حتى استولى عليها الذهول وتمكّنت منها العلة .



وانقطعت عن الطعام حتى وافاها الأجل في ١٩ تشرين الأول ١٩٤١<sup>(١)</sup> .

هل تكفي هذه المعلومات لتعليل محنة مي ؟

لنعد الى واحد من أحدث المصادر حول موضوع العصاب ،  
عنوانه : « أعراض الامراض النفسية »<sup>(٢)</sup> فنقرأ في ص ١٩٠ :  
« مع ان الهبوط العصابي<sup>(٣)</sup> أحد الأمراض النفسية الأكثر  
شيوعاً ، إن لم يكن أشيعها على الاطلاق ، لا تزال معلوماتنا عنه  
في غاية الضآلة » .

ونقرأ ايضاً : « ان مراجعتنا لما كتب حول هذا الموضوع  
تدل على ان تحديده ما زال مبهماً ، وان هناك خلافاً على تصنيف

.....

(١) في مقال للسيد وديع فلسطين نشرته مجله « الاديب » في عدد سبتمبر  
( ايلول ) ١٩٧٤ ، ص ١٢ ، بعنوان «حديث مستطرد عن مي وعصرها» ،  
ان آخر محاضرة القتها مي كانت في منتدى الجامعة الاميركية بالقاهرة ،  
بتاريخ ٢٣ يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٤١ ، وكان موضوعها « عش في  
خطر » . وفي ذلك الشهر عينه نشرت في مجله «الطالبة» ، التي كانت تصدرها  
في القاهرة السيدة مينرفا عبيد ، مقالاً بعنوان « تحية الاعياد » . واعتكفت  
بعدها فلم تكتب شيئاً حتى وفاتها في ١٩ اكتوبر ( تشرين الاول ) من  
تلك السنة .

(٢) «Symptoms of Psychopathology» edited by  
Charles G. Costello, J. Wiley & Sons, N.Y. 1970  
(٣) الهبوط العصابي : depression

الأمراض العصبية كما على تشخيصها وتسميتها ووسائل  
معالجتها .

وفي صفحة ٥ من الكتاب نفسه : « ان التفرقة بين العصاب  
والاختلال العقلي لا تركز على الفروق الأساسية القائمة بينهما ،  
بقدر ما تعكس موقف المجتمع من الاشخاص المصنفين في هذه  
الفئة أو في تلك » .

فإذا واصلنا القراءة ، اتضح لنا أن الخلاف بين الباحثين لا  
يقتصر على مواصفات المرض وأصول تحديده ، لكنه يتناول  
أيضاً تحليل الظواهر العصبية وشرح أسبابها . فالعالم المشهور  
سجمند فرويد ، الذي يربط جميع مظاهر الشذوذ بعوامل  
جنسية ، يزعم أن العصاب يمثل ارتداداً الى مرحلة من مراحل  
الليبيدو أو الطاقة الجنسية القائمة في اللاوعي . لكن نظرية  
فرويد أصبحت اليوم بائدة ، يجمع تلاميذه وسواهم من أهل  
البحث على تخطئتها بقولهم ان المشاكل الجنسية ، وإن ظهرت في  
مقدمة الاعراض العصبية ، لم تعد ذات أهمية مركزية في  
الموضوع . والعقد المتعلقة بالجنس لا تحسب عاملاً بل نتيجة للبنية  
الخلقية العصبية .

لقد ظنَّ فريق من الباحثين ، في وقت من الأوقات ، أن  
للأعراض العصبية علاقة باختلال في وظائف الغدد الصماء ، حين  
لاحظوا توافقاً بين اشتداد التآزُّم العصبي وارتفاع كمية صنف من

أصناف الإفرازات البولية عند المصابين . وعارضهم آخرون بقولهم ان منشأ الارتفاع تهيج في الغدة النخامية مصاحب لخلل وظيفي في الدماغ وتزايد للإفرازات البولية المشار إليها . ويكاد يجمع الباحثون على أن التغيرات الفيزيولوجية الحاصلة في وظائف الغدد إنما هي دلائل اضطرابات نفسية غير معينة وليست أسباباً مباشرة لها (١) .

من كل ما سبق أود ان أستنتج :

أولاً : ان موضوع العصاب وسائر الاضطرابات النفسية لا يزال حتى اليوم موضوعاً مبهماً يكتنفه الغموض ، مفتقراً الى مقدار كبير من البحث العلمي والدراسات التجريبية .

ثانياً : ان عوامل العصاب وما يتصل به لا تزال قيد الدرس . وهي في مجملها بعيدة عن الوضوح والتحديد .

وعلى هذا يصح القول ان المعلومات المحدودة التي وصلتنا عن حداثة مي وعن حياتها الخاصة لا تسعفنا على تحديد الدور الذي أدته البيئة في احداث مرضها ولا على التزام الدقة في تصنيفه أما العوامل الوراثية أو البنيوية التي أسهمت في ذلك فهي بالطبع في حكم المجهول . وأن ما قيل أو كتب عن نوع

.....  
(١) ص ١٧٧ من م . م .

« Symptoms of Psychopathology »

مرضها وعوامله ، منها بلغ من الصحة ، لا يتعدى نطاق  
الفرضيات والتكهنات . من هذا النوع رأي محمد عبد الغني  
حسن في كتابه : « مي أدبية الشرق والعروبة » :

« ولست أميل الى قول القائلين بأن ميأ أصيبت بالعصاب  
والأمراض النفسية الفادرة لأنها كانت عانساً ، في السن التي  
تتعرض فيها العوانس لهذه الأمراض . فإن حالة مي لم تكن من  
طروء علة نفسية عليها بسبب الجنس ولكنها حالة قديمة فطرت  
عليها وركّبت فيها مع الطبع » (١) .

وقد سبق أن أثبتنا في صفحات سابقة من هذا الكتاب  
أقوالاً مختلفة لطله حسين والعقاد ومصطفى عبد الرازق حول  
شخصية مي وأزماتها النفسية . وتعدد الآراء بتعدد الباحثين ،  
والذين عرفوا ميأ ، وكل يحاول أن يلقي بدلوه بين الدلاء .

ثالثاً : في تعليل حالة مي ، يجب ان نتمسك بالمبدأ التاريخي  
الذي يحذّرنا من الوقوع في « خطأ السبب الأوحده » ، فلا نحصر  
عصابها في سبب واحد نظير خيبة أمل أو صدمة عاطفية ، أو حزن  
دفين مسيطر ، أو عوامل فيزيولوجية بحثة . لأن لكل ظاهرة  
نفسية أسباباً ، لا سبب واحد . والانسان مسير دائماً بعاملين :  
البيئة والوراثة أو الاستعداد الخاص . واختلاف الأفراد في

---

(١) ص ٤٤ من الكتاب المذكور .

تصرفاتهم واستجاباتهم ينشأ من اختلافهم في العاملين : الذاتي والبيئي .

رابعاً : إذا جاز لنا بعد طول النظر أن نبدي رأياً أو نفرض فرضاً حول الموضوع ، نستطيع أن نفرض لاضطراب مي النفساني أساساً ولو جزئياً في التوجيه التقليدي الذي أحاط بتربيتها . فقد كانت - كما نعلم من أخبارها - شديدة الحذر ، تخشى إغضاب الناس ومس شعورهم . إذا انتقدت فبلطف شديد ، وبأسلوب فكه ظريف ، يجتنب العنف والتطريف . لذلك لازمها في سنواتها الأخيرة صراع بين رغبة لها في إرضاء الجمهور والمحافظة على إعجابه ، وبين الشعور بالعجز عن تنفيذ هذه الرغبة . وسيطر عليها التشاؤم من الطبيعة البشرية بعد أن أساء أقاربها فهمها ومعاملتها . وتلصكتها النقمة العلانية على الناس الذين صفقوا لها في صباها وفي إبان نشاطها ، فكأنهم حتموا عليها أن تبقى عند حسن ظنهم وأن تواصل نشاطها ، السابق لكي تستحق رضاهم ورعايتهم .

كذلك في وسعنا أن نجد لاضطرابها أساساً آخر في تربيتها الرومنطيقية . فقد كانت امرأة مثالية تنشد المستحيل وتعلق بالأحلام . ذلك ما يفسر حبها لجبران الذي عبّر عن المجهول والصعب المنال . وإيمانها بمناجاة الأرواح ، وميلها إلى درس الآثار التي كانت تحدث عنها طه حسين حين خرجت بصحبته لزيارة

الهرم » وكانت أحاديثها عن الروح المصري القديم من أعمق الأحاديث وأروعها « (١) .

يضاف الى هذا ما طرأ عليها في سن الكهولة من تغيرات فيزيولوجية تحدث للمرأة عادةً في هذه السن ، إذ يضعف عندها نشاط الغدد التناسلية ، وتتعرض للوهن والتوتر العصبي . كما يجب ان نضيف ما أصابها من وحشة وما تعرضت له من متاعب فقد والديها ، إذ حاول استغلالها المستغلثون واصطياد ما لديها من ثروة ولو قليلة . ثم ما لاقته في مستشفى العصفورية من خشونة وتحقير وسوء معاملة .

جميع تلك العوامل ، كما يظهر ، رسّخت فيها ظاهرة السويداء والحساسية المفرطة . ومع أنها انتعشت وظهرت عليها دلائل الإبلال ، عقيب إقامتها في الفريكة بصحبة آل الريحاني ، ظلت ثورتها النفسية في حالة كمون يهدّد بالانفجار . وبعد رجوعها الى مصر عادت الى إدمان العزلة واجترار الماضي ، حتى لازمها الدهول ورفضت الطعام ، وتمكّسن منها الضعف والانهيار الذي انتهى بموتها .

أعود فأذكّر القارى ، بأن هذا التحليل ، هو كذلك ، لا يجاوز دائرة الظن والتخمين .

(١) « مي أدبية الشرق والعروبة » ، م . س . ص ١٨٢ .

# حلفاء مفقودة

من الأمور التي تحول دون تكوين صورة واضحة لشخصية مي وللأزمة التي ألمّت بها ، وجود حلقات مفقودة في أخبار سيرتها وحوادث حياتها .

مذكرات حداثتها تلقي بعض الضوء على شخصيتها في هذه السن. لكن كتبها والأخبار التي أذاعها عنها المعارف والأصدقاء لا تروي لنا إلا النزر اليسير عن حياتها الخاصة وعن علاقتها بوالديها .

نقرأ في رسالة كتبها إليها جبران سنة ١٩٢١ انه رآها في الحلم وفي جبينها جرح يقطر دماً . وبما أنه كان يؤمن بالأحلام أثار هذا الحلم مخاوفه وأرسل يستعلم عن أحوالها . فأجابت بأن والدها أصيب بجاذب كاد يودي بحياته لكنها لا تذكر ما هو ذلك الحادث .

وفي حديث أجراه محمد عبد الغني حسن ، صاحب كتاب « مي أديبة الشرق والعروبة »<sup>(١)</sup> ، مع السيدة ايمي خير ، إحدى صديقات مي ، تقول هذه السيدة إن مياً ضحّت الكثير

---

(١) ص ٢٠٠ .

في سبيل والديها لكنها لا تمدُّنا بتفاصيل عن هذه التضحية .

وحين سئلت مي مرة : « هل للتربية أثر في تغلب العقلية العالمية على أدبك ؟ » أجابت : « ولدت في الناصرة من والد ماروني وأم أرثوذكسية <sup>(١)</sup> فلم يكن ثمّ مجال في نفسي للتعصب لأحد المذهبين » <sup>(٢)</sup> .

لكن رحابة صدر مي لم تمنعها من التعاطق بدينها وممارسة واجباته على أكمل وجه . وفي رأي العقاد ، أحد كبار أصدقائها ، أنها خضعت في ذلك لتأثير والدتها التي كانت كثيرة التدبّر والمحافظة <sup>(٣)</sup> . كذلك يجب أن نضيف هنا تأثير دير عينطورة .

هناك أمر تصمت عنه مي والمقرّبون إليها . هو موضوع علاقاتها العاطفية والأسباب التي حالت دون رضاها بزواج موافق أو حصولها عليه .

رأى بعض مترجميها أن عدداً من روائد ندوتها تعلّقوا باتخاذها شريكة لحياتهم لكن أولئك المؤرخين لم يستندوا الى أدلة تؤيّد رأيهم فأقوالهم بهذا الصدد لا تتعدى الظنون .

تقول وداد سكاكيني متحفّظة : « لعل العقدة التي بقيت

---

(١) والدها من شحتول ، قضاء كسروان ، لبنان . وأمها نرمة معمر من الناصرة ، فلسطين .

(٢) « مي زياده في مذكراتها » م. س. ص ١٥٣ .

(٣) من حديث أجراه محمد عبد الغني حسن مع العقاد ، نشر في « مي أدبية الشرق والعروبة » م. س. ص ١٩٢ .



كامنة في نفس العقّاد بشأن المرأة كانت مي سببها « (١) .

« وقيل أيضاً ان أنطون الجميل أثر ان يبقى عزباً طامعاً في أن ترضى به مي زوجاً ولو جاوزت الشباب » (٢) . ويقول جميل جبر : لقد جاهرها غير عاشق بحبه لها ، وعرض عليها غير صديق فكرة الزواج ولكنها لم تقرّر ... لأنها لم تجد بين طلاب يدها ، على رفعة شأنهم وصدق شعورهم ، من يؤاخي روحها الغريبة فتأنس به وتستقر » (٣) . لكن المؤلف لا يأتي بأي تفصيل ولا يدعم رأيه بأي دليل . وذلك ما يدعو القارئ الى إهمال أقواله بهذا الصدد .



أما علاقتها بجبران فلم تسلم من المبالغة والتضليل في كتب الذين تحدّثوا عنها . بدأت مراسله سنة ١٩١٢ ، بعد أن طالعت بعض مقالاته في الصحف فلفت نظرها بفرادة أسلوبه وأفكاره . كانت رسائلها تتناول في أكثرها موضوعات أدبية فكرية . فهي تناقش آراءه في الزواج كما بسطها في « الأجنحة المتكسرة »

(١) « مي زياده في حياتها وآثارها » دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

(٣) « مي وجبران » لجميل جبر ، دار الجمال ، بيروت ١٩٥٠ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

وتحاول إمداده بملاحظات توجيهية . وهو يجيبها بتلك اللباقة التي ميّزت رسائله الى أصدقائه والمعجبين به . وتتوقف بينهما الرسائل في سني الحرب العالمية الأولى ثم تستأنف عقيب صدور « المواكب » لجبران ثم « المجنون » . فتناول مي الكتابين بالنقد والتجريح في مجلة « الهلال » وتكتب الى جبران لتعطي حكماً صارماً على الكتابين ، وتبدي أسفها لما في كتابه « دمة وابتسامة » الذي صدر سنة ١٩١٤ ، من مقالات كانت جذيرة بالحذف .

ظلت الرسائل بينهما لا تتعدى شؤون الفكر والكتب . أهدته كتابها « باحثة البادية » فأهداها كلمة ثناء وإعجاب . ثم جاءها منه رسالة تتضمن عتاباً على عبارة « النشيد الغنائي » التي وصفت بها إحدى رسائله إليها . وبعد حين أبدى رغبته في أن تسافر الى اميركا ليلتقيها هناك . لكن ميّا كانت تطمح بمجيئه هو الى القاهرة ، بدلاً من أن توافيه بنفسها الى العالم الجديد .

وأرسل جبران إليها كلمة يعتذر فيها ويصرّح بمجزئه عن السفر الى الشرق لأنه مقيّد ببعض الأعمال التصويرية والأدبية . وتستأنف مي مراسلته بعد انقطاع ، وفي إحدى رسائلها ترفع الكلفة بينها وبينه فتسأله أن يمدّها بتفاصيل عن حياته الخاصة :

« ماذا أنت فاعل هذا المساء ؟ أين تقضي سهرتك ؟ أطلب

إليك أن تشاركني الليلة في كل عمل عمله . وأن تصطحبني أنتي ذهبت ... » (١) .

فكتب إليها جواباً فيه دعاية ومداورة . ثم طلب صورتها لكي ينقل رسمها بريشته . وأهداها مسكة ريشة مع أحد رسومه الرمزية . أخيراً تتجراً على التصريح له بحبها في رسالة كتبها سنة ١٩٢٤ . وفي رسالة أخرى ، تحدّثه عن شعرها فتقول وفي قولها تعريض وفكاهة وعتاب : « لقد قصصت شعري . وعندما ترى من صديقاتك بعد اليوم يا جبران من هنّ في هذا الزي يمكنك أن تذكرني وأن تقول لهن في سرّك أنك تعرف من تشبهن ... عندما رأيت شعري بحلّكه وتموّجه الجميل وعقارب الجريئة مطروحاً أمامي قد اعبه يد المزيّن ، شعرت بأسف على هذه الخسارة . غير أن المزيّن ... مضى يصف لي جمال الشعر القصير ومنافعه ومميزاته لاسيما وأنه .. يليق لي كثيراً . وسألته الى كم امرأة يقول كل هذه الكلمات فأجاب اني فيلسوفة . رأيت هذه الفيلسوفة التي تسعى الى قص شعرها ثم تحزن عليه ثم تضحك لأن المزيّن يعزّيها عن فقدته بكلمات مسرّحية ؟ وأين تلك الفلسفة والفتاة المذكورة تحدّث بهذا الحديث عن شعر قاتم هو شعر البسداوة والسمرّة ،

---

(١) «مي وجبران» لجميل جبر ، م . س ، ص ٥ ، كذلك باقي التفاصيل عن علاقة مي وجبران ورسائلها .

تحدث فناناً شاعراً شغف بشعر الحضارة والشقرة . فهو لا يروقه إلا الشعر الذهبي . ولا يحتمل في الوجود إلا الرؤوس ذات الشعر الذهبي .

كانت هذه الرسالة سنة ١٩٢٥ التي قامت فيها مي برحلة الى ايطاليا ، متنقلة بين مدنها الأثرية ومتاحفها الرائعة . وبعدها أخذ يتضاءل عدد الرسائل بينها وبين جبران . شغل هذا بكتابه الجديد : « يسوع ابن الإنسان » الذي صدر سنة ١٩٢٨ بعد صدور « النبي » بخمس سنوات . ثم شغلته حالته الصحية المتدهورة . وكانت مي في هذا الحين قد قطعت كل أمل بلقاء جبران وأدركت أنها كانت في حبها تلاحق حلماً هارباً .



لقد سبق القول أن كتابات مي تدل على منطقية تفكيرها وحكمها على الأمور بمقاييس العقل دون العاطفة . ومع هذا نقرأ لها في « ظلمات وأشعة » مقالات يشوبها مقدار من الإيهام وتدل على تملل وحنين الى المجهول . ولعل حنينها هذا وتشوقها الى الأهداف البعيدة المنال دفعها الى التعلق بجبران الذي لم تره مرة في حياتها ولم تعرف شيئاً عن حياته الخاصة وقد حالت بينها وبينه جبال وبحار ومسافات طويلة . انه مظهر من مظاهر المناقضات في شخصيتها التي وصفها طه حسين حين قال : « إنها تظهر في مظهرين مختلفين أشد الاختلاف . الأول مظهر الأدبية

التي تلقى الرجال وتنظم الاجتماعات الأدبية التي يشترك فيها الجنسان اشتراكاً حرّاً ، سمحاً ، فيه كثير جداً من الرقي والامتياز . والمظهر الثاني هو مظهر مي التي آثرت الوحدة وألحّت على نفسها في العزلة وتدرّجت فيها تدرجاً بطيئاً في أول الأمر ولكنه سريع ملح آخر الأمر » (١) .

أما جبران فكان في علاقته بمي منسجماً مع نفسه ومع مذهبه في الحياة . خاطبها بأسلوبه المألوف ، الغني بالصور والإشارات ، الممتاز بالرقّة والملاينة ، ولم يصرّح لها مرة بأنه أحبها . كان معظم حديثه إليها يتناول همومه الشخصية أو مؤلفاته ورأي مي فيها . إلا أن بعض الذين كتبوا سيرة الاثنين توسعوا في التفسير وسايروا رغبة القراء في أخبار الحب والغرام ، فزعموا أن العلاقة بينهما بلغت حد الهيام .

من أخطاء النقّاد وواضعي السير أنهم يحسبون بعض القصص والأحاديث التي يخترعها الأدباء سجلات بيوغرافية تروي حوادث واقعية جرت لأصعابها . وقد حذّرهم من هذا الخطأ الناقد المعاصر رولان بارت في كتابه المعنون : « ميثولوجيات » وكتاب آخر موضوعه « راسين » ، يحمل فيه على الذين يتوهمون أن الأبطال في بعض مآسي راسين يمثّلون أشخاصاً واقعيين في

---

(١) « مي أدبية الشرق والعروبة » م . س . ص ١٧٨ - ١٨١ .

حياة المؤلف (١) .

وقد ارتكب هذا الخطأ أولئك الذين ظنوا أن مقالة مي :  
« أيها الغريب » موجهة إلى جبران ، رغم انعدام الدلائل على  
أنها كذلك . وأن الفقرات الواردة في إحدى مقالات جبران :  
« على باب الهيكل » تعبّر عن تجربة شخصية وتشير إلى رغبة  
جبران في قطع الصحاري والبحار والسفر إلى أقاصي الأرض  
ليجتمع بالفتاة التي يحبها (٢) .

أما تلك الفقرات فهي :

« هل بينكم من لا يترك أباه وأمه ومسقط رأسه عندما  
تناديه الصبية التي أحبها قلبه ؟ »

« هل فيكم من لا يبحر البحر ويقطع الصحاري ويمتاز الجبال  
والأودية ليلتقي المرأة التي اختارتها روحه ؟ »

« أي فتى لا يتبع قلبه إلى أقاصي الأرض إذا كان له في  
أقاصي الأرض حبيبة يستطيب نكهة أنفاسها ويستلطف ملامس

---

(١) Roland Barthes, «Sur Racine», ص ١٤٧-١٦٦ ,  
Ed. du Seuil, 1963,

Roland Barthes, «Mythologies», London, j. Cape  
1962.

(٢) « مي وجبران » م. م. ص ٣١-٣٢ و ص ٤٦ .

يديها ويستغرب رنة صوتها ؟ » (١) .

مقالة « على باب الهيكل » ، وإن نشرت في مجموعة « العواصف » ( ١٩٢٠ ) تنتمي في روحها الى دور « دمة وابتسامة » الذي امتازت فيه كتابات جبران بالغلو العاطفي والرقّة الرومنطيقية .

وان الذين توسعوا في درس جبران واطّلعوا على رسائله وقرأوا مذكرات ماري هاسكل ، يلاحظون أن اهتمام جبران كان محصوراً في مطامحه الفنية والأدبية . ومع كثرة تغنييه بالحب وتمجيده له في كتبه ، لم يكن من أهل المغامرات الحبّية ، لأن عشيقته لم تكن امرأة من لحم ودم بل أراتو الهة الشعر والفن . لكنه يعترف بدينه للمرأة حين يقول لمي : « أنا مديون بكل ما هو أنا للمرأة ، منذ كنت طفلاً حتى الساعة . المرأة تفتح النوافذ في بصري والأبواب في روحي . ولولا المرأة الأم والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجماً مع هؤلاء النائمين الذين يشوشون سكينه العالم بقطيظهم » (٢) .

جبران يشير هنا الى أمه وشقيقته وصديقاته الكثيرات

---

(١) « المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران » العربية ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٣٨١-٣٨٢ .

(٢) « مي وجبران » م . س . ص ٦٥ .

اللواتي كانت مي واحدة منهن . ويشير خصوصاً الى الصديقة الكبرى ماري ماسكل التي دفعها حبها لجبران الى بذل الكثير من طاقاتها الفكرية ووقتها ومالها لمساعدته ورعايته . لكنها لم تلق منه سوى عبارات الشكر والامتنان العميق الذي جعله يهديها كتابيه « الأجنحة المتكسرة » و « دمة وابتسامة » ، ويوصي لها بمجموع لوحاته .

وقد رضيت ماري بهذه المبادلة إذ فهمت موقف جبران وعرفت أنه يرفض الارتباط بامرأة ، عشيقة كانت أم زوجة ، لأنه يريد أن يستغل كل دقيقة من دقائق عمره في رسم لوحة أو نظم قصيدة أو وضع مقالة ، ويخشى أن يفاجئه الموت قبل أن ينجز ما خطَّط له ، وقبل أن يقول « كلمته الواحدة الحية المجنحة » التي لا بدَّ له من قولها .

\*\*\*





## المقالة

كانت المقالة أشيع الفنون الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . جدّد بها الأدباء عهد الرسائل الأدبية التي شاعت في العهد العباسي : « رسالة الصحابة » لابن المقفع ، « الرسالة العذراء » لابن المدبّر ، رسالة الجاحظ في الرد على الشعوبية ، « رسالة الغفران » للمعري . رغبوا فيها لمحدودية حجمها ، بين ٦٧٠ و ٣٠٠٠ كلمة ، وقبولها لجميع الموضوعات على اختلافها . فهي لذلك صالحة للنشر في الصحف والمجلات وهي الوسيلة الكبرى للاتصال بالجمهور حينذاك . عالجها الشدياق في نقداًته ورحلاته ، ابراهيم اليازجي في أبحاثه اللغوية والعلمية ، بطرس البستاني في المجلات التي أنشأها ، فرح أنطون في مجلة « الجامعة » ، شبيب أرسلان في أبحاثه الأدبية ، الريحاني في « الريحانيات » ، جبران في معظم مؤلفاته العربية . كذلك نعيمه ، المنفلوطي ، مارون عبود ، ولي الدين يكن ، المازني ، العقّاد وسواهم .

أما مي فقد بدأت حياتها الأدبية بيوميّات وأشعار وجدانية ، من النوع الذي ينتجه الأدباء عادة في أول عهدهم

بالقلم . انصرفت بعدها الى تحبير المقالات العربية والفرنسية ونشرها في الصحف . وظلت المقالة اللون الأدبي السائد عندها ، فأكثر مؤلفاتها مجموعات من المقالات المتنوعة الأغراض بين نقدية اجتماعية ، تأملية وجدانية وبحشية أدبية .

كذلك تتنوع مقالاتها من حيث الأسلوب . منها مقالات المناجاة ، التي وضع أسلوبها جبران ، مثلاً : « يا سيد البحار » ، « عند قدمي أبي الهول » . المقالة الغنائية نظير : « العيون » ، « نشيد نهر الصفا » . وفي كلا النوعين تنهج طريقة النثر الشعري الذي سيأتي وصفه في معرض حديثنا عن أسلوبها الفني .

أما مقالات البحث والنقد فتمتاز برشاقة الأسلوب وتكتسب من شخصية الكاتبة طابعاً يحبب قراءتها رغم انقضاء المناسبة التي كتبت فيها .

في وسعنا أن نقسم مقالاتها البحثية والنقدية الى صنفين . الأول قصير النفس ، يرتكز على فكرة واحدة رئيسية ، يتزج فيه البحث بالفكاهة والظرف ، ويعتمد أسلوباً صحفياً مجدداً في اقتباس عبارة الشعب في الظرف المناسب ، واقحام عبارات السخر اللطيف والغمز البريء . من هذا الصنف مقالة عنوانها : « فلان ومدامته » نشرتها في مجموعة « بين الجزر والمد » وعارضت فيها استعمال « مدام » بدلاً من « زوجة » أو « قرينة » . جاء فيها :

« طالما وقع نظري على هذه الكلمات ( فلان ومدامته ) ومع  
أنني ألفتها فهي تضحكني كل مرة ، لأنها تذكرني بذلك اللبناني  
الذي أضاع زوجته في شوارع نيويورك ومضى يسأل البوليس  
عنها بلغة زعمها انكليزية حين قال : « يا مستر ، وين راحت  
هامستيرة ؟ »

« لا يخفى على ذوي « المدامات » وغيرهم أن « مدامتي  
ومدامتك ومدامته » ليست دون « مستيرتي ومستيرتك  
ومستيرته » فكاهة مستملحة ... »

وبعد أن تتبسط مي في الموضوع بعرض شواهد واختبارات  
محلية وغربية وتاريخية ، تختم بقولها :  
« ألا رحمة يا حملة الأقلام !

« أجيرونا من وقر هذه الكلمة الممزقة غشاء المسامع ! تنازلوا  
عنها كرماء في مطلع هذا العام الجديد ! وعليكم بالزوجة والقرينة ،  
وبزوجة فلان وقرينة فلان ، ريثما تتحفنا الفطنة منكم بلقب  
سعيد لا حل فيه ولا ربط ! » .

يلوح لمن يقرأ مقالات مي ورسائلها أن الظرف وحب النكتة  
من مزاياها البارزة ، لا سيما في مقالات التعليق والنقد الاجتماعي .  
خذ مثلاً المقالة التي خاطبت فيها الرقيب حين فرضت سلطات  
الحماية البريطانية في مصر رقابتها على الصحف والمطبوعات سنة

١٩١٦ ، أثناء الحرب العالمية الاولى :

« أسمعك مزجراً يا سيدي الرقيب ! وقد اقترب قلمك من  
جملتي هذه يقصد الفتك بها ! فأصغ إلي غير مأمور : لا أنت  
جندي ألماني ولا أنا جندي فرنسوي ، ولا هذه الصفحة كنيسة  
رئيس ! فكن حليماً ولا تحذف منها شيئاً » (١) .

وفي مقال انتقادي عنوانه « بين الأدب والصحافة » ، نشرته  
سنة ١٩١٦ ، هاجمت بهذا الأسلوب عينه عادة التملق التي  
صارت زياً شائعاً عند الصحفيين فقالت :

« أصبح الصحفيون زمرة قوية تخشاهم الارض ومن عليها !  
فهم ينتقدون القوانين ، ويحاجثون الحكومات ، ويسنثون  
أوامرهم للبشر ، ويبسطون آراءهم لأولي الحل والعقد ، حتى إذا  
شعروا بأن الفكرة التي يبدونها بعيدة عن ذهن القارئ ، عمدوا  
إلى أسماء التحبب ، فدعوه قارة « القارئ اللبيب » ، وطوراً  
« القارئ الكريم » ، وحيناً « القارئ العزيز » ، الى غير ذلك  
من النعوت الطيبة التي ترضي الجميع .. فيقنع القارئ بأنه  
لبيب وكريم وعزيز .. فعلى كل لبيب وكريم وعزيز أن يفكر  
أن ما جاء في المقال هو الحقيقة بعينها ! » .

في مقالاتها الصحفية ، نلاحظ ميلها الى ابتداع العناوين

---

(١) من « سوانح فتاة » منشورات مؤسسة نوفل - بيروت .

الطريفة ، اللافتة للنظر ، أو الناطقة برغبتها في التجديد .  
في « الصحائف » مقال انتقدت به الدكتور شبلي الشميل ،  
وكان صديقاً لها ولأمرتها ومن رواد ندوتها ، انتقدت تعصبه  
للعلم الحديث ولنظريات داروين ، تعصباً دعاه الى ازدياد الادباء  
واعتبار أدبهم ثروة فارغة . فجعلت عنوان مقالتها فيه :  
« الدكتور شبلي شميل - الشاعر » ، وأثبتت بأمثلة من شعره  
أنه واحد من أولئك الذين احتقرهم وأهانهم ، وبذلك ضمنت  
العنوان والمقال عتاباً لطيفاً وسخرأً ظريفاً .

في مقالة لها حول الجمع اللغوي ، في « بين الجزر والمد » ،  
تناقش موقف الشك الذي وقفته الصحيفة الانكليزية « الاجبشن  
ميل » من ذلك الجمع ، وتجعل عنوان المقال : « الاجبشن ميل  
تضحك » .

وفي مقال تنتقد به تسميات غير مناسبة يستعملها المصريون  
لشوارعهم ، تأتي بهذا العنوان الطريف : « امبراطور يصير  
ملكاً » . وتعني أن رصيفاً في بور سعيد يحمل اسم الامبراطور  
النمساوي فرانسوا جوزيف ، قد طلب أهل المدينة استبدال اسمه  
باسم ملك ايطاليا ... ثم تتساءل عن الغرض من استعمال مثل  
هذه الأسماء الغريبة لشوارع مصرية !

أما مقالاتها الطويلة النفس التي تبحث فيها موضوعات  
تاريخية ، أدبية أو فنية ، فسيجري الحديث عنها في فصل لاحق .



## الخطيبية

كان نبوغ مي من ذلك النوع الشامل الذي ضمن لها التفوق في كل ما عالجته من فنون شفهية أو كتابية . وكان عصرها عصر منابر وخطب ، استيقظت فيه روح الوطنية فأنتج مصطفى كامل وسعد زغلول وأديب اسحق . انتشر الوعي الاجتماعي فكثرت جمعيات البر والإحسان وحفلات التكريم والتأبين التي فتحت المجال واسعا أمام الشعراء والخطباء . وكانت مي قد أخذت تمارس الخطابة أثناء زيارتها للبنان حيث أقيمت لها حفلات التكريم بين ١٩١١ و ١٩١٢ . وفي أول خطبة ألقتها في مصر سنة ١٩١٣ ، أمام حشد من الأدباء اجتمعوا لتكريم الشاعر خليل مطران ، بلغت من الإبداع درجة حفزت الأدباء والمتأدبين على دعوتها للخطابة في معظم المناسبات والحفلات الأدبية .

سجلت لها الكتب ما يزيد على عشرين خطبة ، يتراوح طولها بين الخمس صفحات والثلاث عشرة ، ما عدا الخطب التي لم تحفظها الكتب . وبمراجعتنا آيا من خطبها نلاحظ أنها كانت تعنى أشد العناية بإعداد خطبها . فالخطابة عندها فن يحتاج إلى



حذق وإتقان وليس مجرد كلام مرتجل . ومع مراعاتها للأصول التي وضعها أرسطو لهذا الفن ، نجحت في تكوين أسلوبها الخاص الذي يحمل طابعها ويعبر عن شخصيتها .

تستهل خطبتها - عادة - بمقدمة وجيزة لافتة للنظر ، تستوحيها من المناسبة ، أو من مثل قديم وقول شائع . أو من فكرة علمية كالتي افتتحت بها خطبتها في وداع الاستاذين محمد الحضري ومحمد المهدي في الجامعة المصرية . قالت :

« في أعالي الفلك صورة سماوية تدعى « الشلياق » . أجل نجومها نجم من القدر الأول اسمه « النسر الواقع » وهو درة فريدة تبهر الأبصار زرقتهما اللامعة . رصده علماء الفلك فوجدوه بحجة الكواكب . وجدوا أن جميع الكواكب المنظورة تندفع نحوه في الفضاء وهو لبعده الشاسع لا ينتهي إليه نظامنا الشمسي إلا بعد ملايين الدهور .. » (١) .

ثم تنتقل من وصف هذا الكوكب إلى ذكر القوة التي مزّقت حجب المجهول وكشفت أسرار هذا الكوكب الجديد . ألا وهي قوة الفكر الإنساني وبذلك تمهد لوصف ما آتي اثنين من نجوم الفكر ، هما السيدان اللذان أقيمت لتكريمهما تلك الحفلة .

---

(١) « كلمات وإشارات » ( نشر مؤسسة نوفل - بيروت ) ص ٨٠ .

تتماز خطبها بالوحدة والتسلسل والحرص على أناقة العبارة وجودة الرصف . ولها أفانين في الكلام تثير انتباه السامع إذ تنقله من الوصف والسرد والتقدير إلى استفهام يليه جواب . وبينما هي تخاطب الجمهور إذا هي تخاطب المعهد أو تخاطب المحسنين في كل أرض ومكان . تلتفت من صيغة المتكلم الى صيغة المخاطب . من النفي إلى الإثبات . تستعمل التعداد والتقسيم الفيثاغوري : « أولاً .. ثانياً .. ثالثاً » الذي يدفع السامع إلى الإصغاء إذ يقوده إلى تتبع الأقسام وانتظار ما يلي . تقارن بين ماض وحاضر فتتخذ من الأول عبرة وروحياً . تقارن بين الطبيعة والانسان أو بين الشرق والغرب . تنتقل من العام الى الخاص أو من الخاص إلى العام ، رغبة في التنويع والاستنتاج . ولا تهمل النكتة الطريفة والتحية اللبقة والتهنئة الصادقة عن عفوية وحماس .

في خطبها كما في سائر نتاجها ، تكثر من الإشارات والاقتباسات التي تتم على ثقافتها الواسعة وتبحرهما في العلوم المختلفة ، كما تعطي آراءها وزناً وقيمة . تتنوع اقتباساتها بين أمثال وحكم وأشعار مختلفة المصادر ، وإشاراتنا بين علمية وتاريخية . وتتماز فيها بمراعاة شعور جمهورها وتفكيره . ففي خطبة ألقتها في بكفيا ، لبنان ، أشارت إلى فضل الفينيقيين في استنباط الحرف وتبديد غيوم الجهل وقطع البحار سعياً وراء المجد والمغامرة :

« كان البحر قبل الفينيقيين عصياً ، فعالجته هممتهم القعساء فأطاع . وسيروا فيه سفنهم طويلاً وعرضاً ، حاملين إلى بلاد قامت على شواطئه ثمرة أتعابهم الفكرية واليدوية ومبادئ المعارف الاجتماعية » .

وإذا خاطبت جمهوراً مصرياً استوحت الأساطير المصرية لتعزيز موضوعها وتوسيعه . في خطبة عنوانها « الدموع » ، ألقته في حفلة إنشاء « ملجأ الحرية » ، وبينت فيها أهمية الدموع من النواحي الصحية والاجتماعية ، قالت :

« إنما النيل مدين بفضله لسحر الدموع . ضاع الإله اوزيريس يوماً فالتاعت الإلهة ايزيس لفراقه وجلست على شفة النهر تبكيه . إذ ذاك اضطربت أعماقك أيها النيل العظيم ، ( لنلاحظ هنا جمال الالتفات من الغائب إلى المخاطب ) فاندفعت متدفقا ، جاعلاً من ربوعك التربة تبراً ، تاركاً سهولك التاريخية في ربيع دائم ! كل عام يهيجك ذكر دموع آلهة الأسرار والأشجان فينتظم منك الفيضان وفياً . وستظل على العهد أميناً ما بقي أبو الهول محققاً في الفضاء ، وبقيت الحجر منبسطة في عقيق السماء » (١) .

من محاسن طريقته أنها تتخذ لخطبتها عنواناً طريفاً وموضوعاً

---

(١) « كلمات وإشارات » م. م. ص ١١٠ - ١١١ .

موحّداً تركّز عليه كلامها وتربط ما تفرّق من أجزائه . ففي  
حفلة « جمعية الاتحاد والإحسان السورية » ، وهي جمعية خيرية ،  
تتخذ من الحفلات الخطابية وسيلة لجمع التبرعات ، جعلت مي  
عنوان خطبتها : « ظل الإله الثاني »<sup>(١)</sup> ، فبينت كيف أن المال  
— أو الإله الثاني — يتحكم في مصير الشعوب فيرفع عروشاً ويدك  
غيرها . يخلق النعم والبركات ويحدث الفواجع واللعنات . وما  
جمعيات البر والإحسان ، ومراكز الإغاثة والاسعاف إلا الحواجز  
التي تقف في وجه الانفجارات الحاقدة والثورات الدامية التي  
يقوم بها المحرومون والمعدمون بتحريض من دعاة الحرية والإخاء  
الذين « لم يتآخوا بغير التمرد والجهل القتال ، والرغبة في سحق من  
هو فوقهم طمعاً في ماله وجاهه »<sup>(٢)</sup> .

أما قدرتها على ابتكار البراهين وابتداع الأفكار المقنعة  
والحجج الدامغة ، فيكفي أن أذكر مثلاً عليها الفقرة الآتية  
التي تبين لنا مقدار واقعتها وصدق فراستها ، لأن ما قالت منذ  
ستين عاماً لا يزال صحيحاً اليوم :

« الثورة العثمانية ! تلك الحركة العظيمة غير الدموية التي  
أذهلت الغرب . لم نستفد منها كثيراً لأن الأمة لم تشترك فيها  
اشتراكاً محسوساً ، بل كانت حركة عسكرية ، قصر فيها التبديل

(١) « كلمات وإشارات » م . س . ص ١٢١ - ١٢٧ .

(٢) « كلمات وإشارات » م . س . ص ١٢٥ .

على هيئة الحكومة ، لكنها لم تغير من أخلاقنا شيئاً . يجب أن تكون الثورة فردية داخلية قبل أن تصبح قومية عمومية . ثورة في الأفكار . ثورة في المبادئ . ثورة في الاحتياجات . ثورة في المطالب . ثورة في كيفية المعيشة . يجب أن نغير طبائعنا قبل أن نغير حكّامنا . يجب أن يعكف كل منا على إصلاح نفسه قبل أن يتصدّى لإصلاح الجمهور . يجب أن نفهم معنى التضامن وأن نتكاتف لا لغايات شخصية بل للخير العام !

إن رغبته في تعزيز الفكرة واجتذاب انتباه السامع ، دعته إلى الإكثار من المقارنة والجمع بين الأضداد ، عملاً بالمثل القائل : «وبضدّها تميّز الأشياء» . قالت من خطبة «الدموع»<sup>(١)</sup> التي سبقت الإشارة إليها :

« ما رأيت عمارة تزخرفها يد البستاني إلا خنقتني الغصات إشفافاً على من لا مسكن لهم . ولا وقع نظري على الأثواب النفيسة والجواهر المتألقة إلا التاع قلبي على أيتام ليس عندهم ما يلبسون . ولا دخلت مقاصف سهراتنا وأفراحنا أو شهدت أفواج الوافدين على «سولت» و «جروبي»<sup>(٢)</sup> ومحالّ الملاهي والسمر الكثيرة إلا ضاقت مني النفس كمدّاً على فتيات مصريات طالما رأيتهن باحثات بين ما تلقينه المنازل الكبرى من فتيت

---

(١) «كلمات وإشارات» ص ١٠٣ - ١١١ .

(٢) صالتان فخمّتان لبيع الحلويات في القاهرة .

يصلح للغذاء » .

كذلك في الخطبة التي عنوانها « الإخاء » ، يتضح ولها بالمقارنة حين تقارن بين الحرية والمساواة والإخاء ، شعار الثورة الفرنسية فتبين أن الكلمة الثالثة أجمع للأولين وأدنى الى حقيقة الوجود ، لأننا إذا اعتبرنا الحرية المطلقة غير ممكنة وأن المساواة لا تستطيع أن تكون إلا نسبية أو جزئية ، فليس منا من ينكر أن الإنسان اخو الانسان ، مهما باعدت الأحوال والحواجز بين البشر .

ثم تقارن بين عاطفة الإخاء والنهر الذي يتفجر ويجري متدفقاً ليوزع مياهه على السهول والحقول . وتردد قول أوغست كونت : « إن الإخاء يجب ان يكون ديناً اجتماعياً عاماً وان الإنسانية يجب أن تكرس أعياداً لأعظم رجالها وكبار محسنيها » .

وتضيف : إن المؤسسات التي تبنى لكفاح البؤس والفاقة في عصرنا هي أعظم قدراً من أهرام مصر . هذه رفعت « بعرق البؤساء ودم العبيد » ، وتلك ترفع « بعطايا المحسنين وكرم ذوي الأريحية » . هذه لم تفهم أسرارها إلا الأقلية النادرة وتلك تهذب في مدارسها الأكثرية البائسة فتسمو في سلم الإنسانية ويرتقي بارتقاءها المجتمع بأسره .



## مي والنقد الاجتماعي

مي في تفكيرها الاجتماعي تمثل الانفتاح اللبناني على الأديان والثقافات . كما أن المنزلة التي يحتلها النقد الاجتماعي في نتائجها تعكس الاتجاه الذي يميز الأدب المصري منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم .

كان الأدب الاجتماعي في مصر يتوزع على ثلاثة ميادين : الخطابة ، الصحافة ، التأليف المقالي والقصصي .

في الفصل الأول من هذه الدراسة ، الذي تناولت به عصر مي ، أشيرت الى أهمّ المقالين والصحافيين من أدباء النقد الاجتماعي . أما النقد الذي يتخذ أسلوب القصة فقد كان ألمع رواده في ذاك الحين محمد المويلحي<sup>(١)</sup> في « أحاديث عيسى بن هشام » ، أو المقامات المصرية . وقد تبعه سلسلة طويلة من القاصّين ، من محمد حسين هيكل الى نجيب محفوظ .

وكان لمي نشاط مثمر في كل من ميادين النقد الاجتماعي .

---

(١) عاش محمد المويلحي بين ١٨٥٨ و ١٩٠٦ .



راسلت الصحف ، وألقت الخطب التي تعالج الموضوعات الاجتماعية ، ووضعت فيها المقالات الطويلة النفس ، فضلاً عن كتابين يتخصص كل منهما في ناحية من نواحي البحث الاجتماعي . الأول « كتاب المساواة » ، تعالج فيه مشكلة من أعقد مشاكل المجتمع . والثاني ، « باحثه البادية » ، تنقد فيه آراء ملك حفني ناصف ، مؤلفة « النسائيات » ، والرائدة في ميدان النهضة النسائية .

ليس لمي في نقدها الاجتماعي مذهب خاص . إلا إذا عددنا التزام الأوساط الذهبي والاعتدال المنطقي مذهباً فلسفياً .

إذا راجعنا كتابها « المساواة »<sup>(١)</sup> حيث تتصدى لمشكلة من أدق المشاكل وأشدّها خضوعاً للمناقشة ، نجد أنها تستعرض الأنظمة السياسية الكبرى منذ نشوئها حتى العصر الحاضر فتقول ان التمايز بين الطبقات وبين الأفراد وبين مظاهر الطبيعة ، ظاهرة أصلية عريقة ولولاها لما كانت الخليقة . ثم تصف نشوء كل من الانظمة : الملكية ، الارستوقراطية ، الديمقراطية ، فتبين ان كلاً منها كان مرحلة اساسية في تاريخ البشر وأن كلاً منها ساهم في بناء الحضارات . وتضيف ان الارستوقراطية ضرورية لمنفعة الامة بما تصونه من مبادئ النبل

---

(١) منشورات مؤسسة نوفل - بيروت ، ١٩٧٥ .

والكرم بفضل التقاليد المتوارثة . لكنها تنتقد فوضى الألقاب المتوارثة في الغرب كما في الشرق ( ص ٣٤-٣٩ ) . تشرح نشوء العبودية ومنها عبودية المرأة . وتنتقل الى ظهور الديمقراطية في بلاد اليونان حيث دعت الحاجة الى إشراك أبناء الشعب في الحرب بعد ان كانت ممارستها محصورة في الفرسان المنتمين الى الارستوقراطية . « فأرغم الأشراف على تعزيز الجيش بفيالق المشاة من الشعب... فشعر هؤلاء بضرورتهم لحفظ كيان الوطن، وانبروا يثبتون في البلاد الثورة والشقاق حتى ظفروا بالمساواة المدنية والسياسية » . ( ص ٦٩ ) . في روما ، بُنيت الديمقراطية على العبودية لأنها استثنت العبيد من حق المشاركة في الحكم وسخرت الطبقة السفلى للخدمة والاعمال الدنييا ، في حين تفرغت الطبقات العليا للحكم والقضاء . وتقارن الكاتبة بين الديمقراطية القديمة والديمقراطية الحديثة التي تحترم حقوق الفرد وتمنح جميع الطبقات حقوقاً مدنية . لكن الديمقراطية الحديثة يشوبها حب الاستعمار والتفاسوت الاقتصادي وسيادة الظلم والحرمان في داخل الاقطار التي تعتنقها مذهباً .

من ثمّ تنتقل الى ظهور الاشتراكية وفلسفة ماركس القائمة على المادية التاريخية والثورة على سوء توزيع الانتساج . تميز بين الاشتراكية السلمية التي تدعو الى تغيير النظام بوسائل غير حادة، والماركسيّة العنيفة التي ترى في القوة وسيلة لتحقيق غاياتها . وفي هذا السبيل « أنشئت شركات التضامن ونقابات التعاون بين

العمّال ، حتى اذا آن الأوان ، قاموا بالحركات الثورية المطلوبة .  
وقد استحسن ماركس الدكتاتورية لتحويل هذا الانقلاب الواسع  
ما يحتاج اليه من الشدّة والاتقان ، بل رأى أنه يتحتم حصر  
الأمر والنهي في يد زعيم مطلق « (١) » .

تردّ مي على الماركسية بقولها : « ان في « المادية التاريخية »  
التي يستند اليها ماركس وأصحابه أكبر مكدّب لأماني  
الاشتراكية لأنها اذا صدقت من حيث ظهور المرتبة الضرورية  
للاجتماع على المراتب الاخرى ، فهي كذلك تثبت بلا إثبات  
وجود التغيرات الملاصق للإنسانية في جميع تطوراتها .

« ان تقسيم العمل ملازم لأنواع العمل ولدرجة عقول الناس  
ودرجة كفاءتهم . وهذا التقسيم المحتوم هو الذي يخلق المراتب  
المختلفة . لذلك كان هذا المذهب القائل بالمساواة أظلم ما حيى  
لها . . . أترى المساواة في سبك العسجد والطين في قالب واحد ؟  
وهل الإنصاف في تجريد الغني ليعطى المعدم ؟ وهل الحرية في  
توحيد العقل الكبير والقلب النبيل مع الفكر السخيف والنفس  
الزحافة ؟ وهل يقوم حسن التوزيع باستبدال صك بصك وعهد  
بعهد ؟ . . . ومن هم أولئك الموزعون ؟ أم آلهة لتضمن لنا نزاهتهم  
وعدالتهم ؟ . . . إن أكبر ما تعاب به الاشتراكية المتطرفة نفخ  
الخامل والكسول والجبان ، وإيهامهم أنهم في الدنيا الكل في

(١) المصدر نفسه ص ٧٨ .

الكل ... الأوجاع الحالية مريرة لكن الدواء سيكون أوجع  
لأنه سيظلم الأبرياء ويقضي على جمال كثير ... الغد للإشترابية  
لكنها لن تكون أوفى من الديمقراطية في تميم وعودها « (١)

في الفوضوية (٢) تقول انها تدعو الى قلب جميع الأنظمة وتسليم  
الفرد إدارة شؤونه من غير رقابة أو سيطرة . والمؤتمر الفوضوي  
المنعقد في لندن ١٨٨١ قرّر شرعية كل وسيلة لإبادة النظام  
الحالي : « ان الفوضوية مذهب محزن مروّع وهو على حداثة  
نشأته ذو تاريخ مضرّج بالدماء » .

وتضيف : « قد يثور الانسان لأنه خامل تلهبه الغيرة ولا  
يستطيع الوصول الى مرتبة من هو فوقه فيجرب المشاغبة  
والنقض والحرق والتشنيع . فإن ثال بغيته فذاك ، وإلا فقد  
حرم غريمه من النعمة وذاك في النفس المنتقمة سرور كبير » .

وتنقل عن لسان كاهن رافق الجنود في الحرب العالمية الاولى  
وشهد ويلاتها وفظائنها : « إن الانسان اذا لم يكن له من الدين  
او من الاخلاق الفردية او من القانون وازع ، وتمكّن من اخيه ،  
فالضواري دونه فظاعةٌ وحيلة في ابتداع اساليب التعذيب ،  
للذة القسوة والإيلام .

---

(١) « المساواة » ص ٩٧ - ٩٩ .

(٢) « المساواة » ص ١٠١ - ١١٢ .

ان ميّاً في عرضها السريع للمذاهب والاحزاب السياسية ،  
تلتزم الموضوعية البعيدة عن الانفعال . تبين فضائل كل نظام  
وعيوبه ولا تنحاز الى واحد منها ، إذ تختم بكلمة تشاؤمية :

« وهمان كبيران يقودان الحياة . في احدهما يحسب المرء  
نفسه حرّاً في العبودية على شرط ان تغيّر اسمها وشكلها... وفي  
الآخر يعتقد المرء بصلاح البشر الفطري اعتقاداً مطلقاً » (١) .

وكأني بها تقول ان الذي يصنع المذهب او النظام ليس  
الشعارات والأسماء والعبارات المبهرجة الخادعة . ولكن يصنعه  
البشر . وهؤلاء معروضون للخطأ والضلال ، يفسدون المذهب  
بفسادهم او يصلحونه بصلاحهم . وقد أخطأ من يعتقد « بصلاح  
البشر الفطري اعتقاداً مطلقاً » .

إلى جانب هذا ، يبدو ان أسلوبها في البحث لا يلتزم دائماً  
الاصول العلمية . فهي تبحث موضوع المساواة من غير أن  
تعرف هذه الكلمة تعريفاً دقيقاً يبين ما المقصود بها : أمساواة  
مطلقة أم نسبية ؟ أمساواة أمام القانون ، أمساواة في المنزلة  
الاجتماعية أم في الوضع الاقتصادي ؟

ثم تتنبأ بفوز الاشتراكية العتيد من غير ان تدعم نبوءتها

(١) « المساواة » ص ١٢٨ .

ببراهين مقنعة ، سوى أنها تقول ان الاشتراكية « لن تكون أوفى من الديمقراطية في تميم وعودها » .

على أنها بعد ذاك العرض الشامل وبعد المناقشة المسلية التي تُجرىها على ألسنة المجتمعين في منزلها ، والتي أرادت بها الترفيه عن القارئ بتغيير الأسلوب وتنويع الاشخاص ، تحاول اتخاذ موقف شخصي واقتراح حل وسط تشرحه في الرسالة التي يوجهها إليها الاستاذ عارف في خاتمة الكتاب .

في هذه الرسالة يشير الاستاذ الى تجاربه الشخصية في الموضوع ، والأرجح انها تجارب مي نفسها . يقول انه كان في وقت مضى متحمساً للمساواة ، غاضباً على اهل النعمة والثراء ، يودّ لو « يكون لحمه قوتاً للجائع ودمه شراباً للظامى » . لكن الاختبار علمه خطأ موقفه . فأراه ان الانسان لا يختلف عن غيره طبيعة وإن اختلف مذهباً . « إن أنانيةً تسربت بالحري ليست بأطعم من أنانية ارتدت الأطمار » .

ثم ينفي عن نفسه تهمة الارستوقراطية ويثبت إيمانه بالديمقراطية ، وإن لم تكن حتى اليوم سوى حلم جميل او مجرد نظرية . يؤمن بالثورة على كثير من الأنظمة والعادات والتقاليد التي تخالف المنطق وتناقض الذوق العصري . يشير الى التطور الذي أحدثته المؤسسات الخيرية والنقابات والتعاونيات التي أخذت تحرّر العامل من استبداد صاحب العمل ، وأخذت

تُنذر بتبدل الأدوار !

ويقول متسائلاً : إذا قضينا على الحرمانات التي يخلقها الظلم الاجتماعي ، فمن ينقذنا من الحرمانات الخرساء ؟ من يقينا ظلم الطبيعة و كوارثها وامراضها . وبلايا القدر ومعاندات الدهر ؟

لكنه رغم ألمه من شرور الواقع ومساوىء الحاضر ، يحتفظ بشعور التفاؤل ويأمل ، نظير زردشت ، ان يأتي يوم يتغلب فيه النور على الظلام . يصرّح بأنه لا ينتمي الى حزب لكنه يضمّ في تفكيره العناصر الصالحة من كل مذهب . « لو اردت ان أعرف الحزب السياسي او الاجتماعي الذي انتمي إليه ، لقلت اني ارستوقراطي ، ديمقراطي ، اشتراكي سلمي ، اشتراكي ثوري ، فوضوي ، عديمي ، الى آخره . كل ذلك دفعة واحدة وبوقت واحد .

« ولو كنت ذا كلمة مسموعة بين حكومات العالم ، لجعلتها تُعرض عن اصطخاب الاحزاب وتناحرها...ولسنت القوانين الآتية وأحكمت تنفيذها قبل إصلاح الشوارع وإنشاء المعارض... » .

هنا يلخص الاستاذ عارف برنامجاً إصلاحياً ، يشمل الإصلاحات المطبقة اليوم في الأقطار الحديثة التي تتبنى منهجاً اشتراكياً معتدلاً . او في الاقطار الرأسمالية التي جرت شوطاً بعيداً في ميدان العدالة الاجتماعية .

من بنود هذا البرنامج :

إيجاد مطاعم عمومية ومنازل للمبيت ، يلجأ إليها الفقراء والمحرومون ، المهتدون بالجوع والفاقة .

منع التسوُّل منعاً باتاً .

جعل التعليم الابتدائي مجانياً والمناهج موافقة للاستعدادات والميول .

إيجاد مكاتب للتوجيه المهني .

إيجاد معاهد كبيرة يأوي إليها الأولاد الذين يعيشون في ظل والديّن قساة ينغصّون عيشتهم ويحطّمون نفوسهم .

جعل عيادات الأطباء والصيديات والمستشفيات والتمريض مجانية . وكذلك نفقات المرافعات والدفاع والقضايا المختلفة .

التفرقة بين المساجين حسب مراتبهم وأخلاقهم لكي لا تسري بينهم عدوى الفاسد والجرم لمن هو أقل فساداً وأدنى الى الصلاح .

أخيراً : إذا كان لا بد من تنفيذ حكم الإعدام في كبار المجرمين ، فيجب تجريد عملية الإعدام من مظاهر القسوة والتعذيب ، ويجب إجراؤه بطريقة سريعة نظير الكرسي



الكهربائي - مثلاً - الذي يخفف من عذاب المحكوم عليه  
ويهوّن عليه لحظة الموت .



هذه خلاصة الرسالة التي نلمح من خلالها تطلّعات الكاتبة  
وتحسّسها الاجتماعي ، ونتبين عدم انحيازها لأي من المذاهب ،  
لأنها في دراستها كانت باحثة ناقدة لا داعية متحمسة . لكن  
أسلوبها الذي يلتزم الرويّة والتدقيق وإن اتخذ أحياناً شكلاً  
خطابياً ، واستنتاجاتها الجادة الرصينة ، تسجل لها انتصاراً  
كبيراً في معالجة « موضوع جموح » يستعصي على أكثر الباحثين ،  
جديد على الشرق العربي في مصطلحاته ومضامينه .

وقد لاحظنا في تلك الاستنتاجات مقداراً كبيراً من الرؤيا  
وبُعد النظر ، لأن كثيراً من المقترحات الواردة في رسالة عارف  
يجري تطبيقه حالياً في البلدان المتطورة .



## رد على استفتاء

كما كانت مي في بحث « المساواة » واسعة الاطلاع ، حصة الرأي ، كذلك تراها في المقال الذي كتبته ردّاً على استفتاء « الهلال » حول نهضة الشرق العربي<sup>(١)</sup> ، وقد راعت فيه أصول البحث العلمي من تعريف ، مقارنة ، حكم ، مناقشة واستشهاد بالبراهين الواقعية .

تبدأ بتعريف « النهضة » فتقول انها ذات معنيين : أحدهما تجديد الأمة في مجموع أحوالها ، كالنهضة الفنية في أوروبا في القرن الخامس عشر ( الرنيسانس ) والنهضة العلمية والآلية او « الثورة الصناعية » في أوروبا واميركا في القرن المنصرم وفي هذا القرن العشرين .

والمعنى الثاني هو الشعور بوجوب التغيير والسعي لإحداثه ، وهذا المعنى الثاني ينطبق على نهضة الأقطار العربية .

---

(١) « بين الجزر والمد » ، منشورات مؤسسة نوفل ١٩٧٥ ،

ص ١٦٥ - ١٧٦ .

وتؤكد أن هذه النهضة ليست فوراً وقتياً . بل إنها ستستمر في سيرها بناء على استمرار الدافع الذي حركها وهو الاحتلال الأجنبي وما أدّى إليه من تفاعل الشرق بحضارة الغرب وتيقظ لمعنى الحرية وسعي لمناهضة الاستعمار وتصفيته .

في جوابها عن السؤال المتعلق بإمكان تضامن هذه الأقطار أو اتحادها تقول ان بينها عوامل مشتركة تحثها على التضامن والتآلف ، لكنه سيظلّ تعاطفاً أدبياً ولو جلا عنها الغرب ، « إذ صار الناس اليوم يطمحون الى القوميات ويرغبون في الاستقلال ضمن حدود وطنية معينة ، إلا إذا جاءتنا الأيام مباحثاتها ... وأياً كان المستقبل فاللغة العربية خير وسيلة لهذا التعاطف والتفاهم بين أبناء الشرق العربي » .

وعن السؤال : « هل ينبغي للأقطار العربية اقتباس عناصر المدنية الغربية ؟ » تجيب جواباً مطوّلاً خلاصته ما يأتي :

ان الحضارة الغربية حضارة عالمية ، ساهمت في تكوينها الشعوب القديمة والحديثة . فاليونان القدماء اخذوا عن المصريين والبابليين جذور حضارتهم التي اقتبس منها العرب الشيء الكثير ، ثم اضطلعوا بنقل التراث الى الاوروبيين في عصر نهضتهم . ولم تقم في عصر من العصور حضارة خلت من تأثير الحضارات السابقة أو استغنت عن الأخذ والتبادل . فمن البديهي ان يقتبس عرب اليوم ما يحتاجون الى اقتباسه من الغربيين .

ثم تقول وفي قولها ما ينطبق على كل عصر وبيئة :

« إذا انقطعنا عن حركة الحياة ، سَجَلْنَا على نفوسنا البله  
ونحن أذكاء... ولا يبقى لنا سوى ركوب الأظعان في البداء ،  
والسكنى تحت بيوت الشعر والحداء الشجي في الليالي القمرء  
والرقص بالسيف والترس .

« لا أقول ان هذه العيشة البدوية غير جميلة . ان فيها لهناء  
وراحة ونبلا . ولكن ، بشر أهلها باكتساح عاجل او آجل .  
لأن الحياة تتأرجح حولها ، وأصوات الآلات تهدر محلقة فوقها  
وعلى مقربة منها ... لأن نظام « الحق للقوة » نافذ في الطبيعة ،  
وليس هو من ابتكار المستبدّين . فإن لم يكن اهل البلاد اقوياء ،  
عارفين بالطرق الحديثة ، مجارين حركة العالم ، اكتسحوا  
واستعبدوا ، ونفذ فيهم قانون « تغلب الأصلح »<sup>(١)</sup> .

بمثل هذه الحجج الدامغة تقنع مي القارء بضرورة  
الاقتباس عن الغرب ، لكنها تقيّده بالتعمق وعدم الاكتفاء  
بالسطحيات . وتربطه بالمحافظة على الجيّد الكريم من عاداتنا ،  
والتركيز على الضروري الذي لا بدّ منه ، كالات والمخترعات  
والأساليب المالية والاقتصادية والاجتماعية . كذلك ترى ان  
نظامنا السياسي يحتاج الى تحويل على مثال ما جرى في تركيا .

---

(١) هو القانون الذي أعلنه دارون في نظرية « أصل الأنواع » .

أما الآداب الغربية فيجب ان يكون اطلّاعنا عليها تعرّفًا  
بالعالم الكبير واستيحاءً لما فيها من مظاهر عبقرية . وكما استوحى  
دانتي المصادر العربية وظلّ أدبه ايطالياً ، وكما استوحى كبار  
شعراء الفرنسيين في القرن السابع عشر الآداب الاسبانية  
والعربية والانكليزية واليونانية واللاتينية ومع هذا ظلّ أدبهم  
فرنسياً ، هكذا يمكن ان نستوحى نحن آثار الغرب في خلق  
أنواع أدبية جديدة وأساليب حديثة ، من غير ان نفقد شخصيتنا  
العربية . لأن الانحصار في موضوع واحد يضيق الفكر ويحمل  
على الغرور . ولا بدّ من اختلاف أنماط الأدب في اللغة الواحدة  
والوسط الواحد .

ونحن لو أردنا اليوم بحث موضوع النهضة وعواملها وعلاقة  
الاقطار العربية فيما بينها وعملية الاقتباس وكيفية الأخذ بها ، لما  
استطعنا ان نأتي بأفضل مما قالته مي في الموضوع منذ خمسين  
عاماً . فقد ضمنت ردها شهادة التاريخ ونظريات العلم وخبرة  
الواقع وقوة البصيرة التي تحسب حساب الغد .



مما تجب ملاحظته في نقد مي الاجتماعي أو الأدبي أن  
صاحبته ، مع حرصها على اللياقة وحسن الذوق ، تمتاز بالجرأة في  
إعلان رأيها ولا تخشى إغضاب من تتقدم وإن كانوا من أصدقائها .  
فهي تنتقد في كتاب « دمة وابتسامة » لجبران لهجته المضطربة

وأفكاره الصببانية<sup>(١)</sup> . وتلوم طه حسين لأنه في جريدة  
« السياسة » يشغل صحيفة الأدب الأسبوعية بأبحاث ممتعة عن  
الشعراء الأقدمين ، ويتغاضى عن الأدب المصري فلا ينيله  
كل ما هو جدير به من البحث<sup>(٢)</sup> . وفي النشيد القومي المصري  
تقول انه « حلو كثيراً » ولكن « ينقصه شاربان » . « ينقصه  
قصف المدافع ورنين الاجراس وزفير اللهب وزغردة النساء  
وهتاف الثوار وقعقة قيود الذين سجنوا لأجل الحرية وأنين  
الذين قتلوا في سبيلها . ينقصه مواكب النعوش الملفوفة بالألوية  
الحمرء وضجيج الجماعات حولها »<sup>(٣)</sup> .

كانت نفسها تثور أمام مشاهد الظلم . تتوجع لمظاهر الجهل  
والتخلف . وكأني بها من تلك الفئة التي أشار إليها الحديث  
النبوي : فئة الذين لا يرون اعوجاجاً إلا ويحاولون تقويمه بقلوبهم  
أو بالسنتهم ، إذا عجزوا عن تقويمه بأيديهم . في « عام سعيد »<sup>(٤)</sup> ،  
المقال الذي تحمل فيه بعنف على عادة الحداد ، تقول :

« ما أكثرها عادات تقيّدنا في جميع الأحوال فتجعلنا من

---

(١) « مي وجبران » لجليل جبر ، م . س . ص ٣٨ .

(٢) « بين الجزر والمد » م . س . ص ١٤٢ ( من مقال عنوانه : « لبّيك  
يا مسيو فانيير ! » .

(٣) « بين الجزر والمد » م . س . ص ٧٦ - ٨١ .

(٤) « سوانح فتاة » ص ٦٧ - ٧٠ .

المهد الى اللحد عبيداً ! نتمرد عليها ثم نتفد أحكامها مرغمين .  
ويصح لكل منا ان يطرح على نفسه هذا السؤال : أتكون هذه  
الحياة حياتي وأنا فيها خاضع لعادات واصطلاحات أسخر بها في  
خلوتي ، ويمجها ذوقي ، وينبذها منطقي ، ثم اعود فأتمشى على  
نصوصها امام البشر ؟ » .

وتنتقل الى موضوع الحداد فتبين كيف ان هذه العادة تظلم  
المبتلى بفقد عزيز لأنها تعين ما يجب عليه لبسه وتحرمه جميع  
أسباب اللهو والنسيان مع انه أحق الناس بالسلوى والتعزية .  
تفرض عليه ألا يخرج من منزله إلا الى مكان تخيم عليه رهبة  
الموت أي الى المقبرة . تمنعه من اقتناء الأزهار ومن الإصغاء الى  
الألحان وقبول المعايدات . « أما القرطاس فيمسي بخطاً طويلاً  
وعرضاً بخطوط سوداء يجفل القلب لمراها » .

وتضيف قائلة : « ان أخبار الأفراح التي يطنطن بها الناس  
كالتواقيس ، ومظاهر الحداد التي ينشرونها كالأعلام ، إنما هي  
بقايا همجية قديمة ، من نوع تلك العادة التي تقضي بحرق المرأة  
الهندية حية قرب جثة زوجها . وإني لعلى يقين من أنه سيجيء  
يوم فيه يصير الناس أتم أدباً من ان يقلقوا الآفاق بطبول  
مواكب الأعراس والجنازات . وأسلم ذوقاً من ان يحدّثوا الارض  
وساكنها أنه جرى لأحدهم ما يجري لعباد الله أجمعين من ولادة  
وزواج ووفاة !

« وتمهيداً لذلك اليوم الآتي، أحيي الآن كل متشح بالسواد،  
أما السعداء فلهم من نعيمهم ما يُغنيهم عن السلامة  
والتحيّات ... أحيي كل حزين وكل منفرد وكل بائس وكل  
كئيب. أحيي كلا منهم متمنيّة له عاماً مقبلاً أقل حزنًا وأوفر  
هناءً من العام المنصرم .

« نعم . للحزين وحده يجب أن يقال : عام سعيد ! » .

لكن ميّاً رغم ثورتها العنيفة على ظلم التقاليد ورعونتها ،  
تلتزم جانب الاعتدال وتستبعد التطرّف الأهوج والتمرّد الهدّام ،  
على نحو ما رأيناها في بحث المساواة .

في خطبة « ظل الإله الثاني »<sup>(١)</sup> ، تحذّر من تفجّر البراكين  
التي تُدعى الاشتراكية المتطرّفة والبلشفية والفوضوية والعدمية ،  
التي نادى أهلها بالإخاء ، « وما كانوا متآخين بغير التمرد والجهل  
القتال ... فيقلبون الحكومات ويقلّقون الأمان ويُلغون  
الأنظمة ويسلبون الممتلكات ، وينصفون طائفة ليظلموا طوائف .  
كل ذلك باسم المساواة ! » .

وفي نقدها لقصة جبران ، « الأجنحة المتكسرة » ، تناقش  
رأيه في تحليل تمرّد المرأة على الرباط الذي يقيّد بها بزواج لا

---

(١) « كلمات وإشارات » م. م. ص ١٢١ .



تحبّه ، لتلتقي الشاب الذي تحبه ، فتقول :

« إننا لا نتفق في موضوع الزواج يا جبران . أنا أحترم أفكارك وأجل مبادئك لأنني أعرفك صادقاً في تعزيزها ، مخلصاً في الدفاع عنها ، وكلها ترمي الى مقاصد شريفة . وأشارك أيضاً في المبدأ الأساسي القائل بحرية المرأة . فكل رجل يجب ان تكون المرأة مطلقة الحرية في انتخاب زوجها من بين الشبان ، تابعة في ذلك أميالها وإلهاماتها الشخصية ، لا مكيفة حياتها في القالب الذي اختاره لها الجيران والمعارف . حتى إذا ما انتخبت شريكاً لها ، تقيّدت بواجبات تلك الشركة العمرانية تقيداً تاماً . أنت تسمّي هذه سلاسل ثقيلة حبكتها الأجيال . وأنا اقول إنها سلاسل ثقيلة ، نعم ، ولكن حبكتها الطبيعة التي جعلت المرأة ما هي ... لم لا تستطيع المرأة الاجتماع بحبيبها من غير علم من زوجها ؟ لأنها باجتماعها هذا السري ، مها كان طاهراً ، تحون زوجها وتحون الاسم الذي قبلته بملء إرادتها ، وتحون الهيئة الاجتماعية التي هي عضو عامل فيها ، <sup>(١)</sup> .

---

(١) « مي وجبران » م. س. من رسالة ص ٢٨ - ٣٠ .

## باحثة البادية

موضوع تحرير المرأة الذي تناقشه مي في رسالتها الى جبران ينقلنا نقلاً عفويًا الى كتابها « باحثة البادية » ، وهو من بواكير أبحاثها في النقد الاجتماعي الذي يتناول قضية المرأة . وضعته في ملك حفي ناصف<sup>(١)</sup> ، الملقبة بـ « باحثة البادية » ، صاحبة كتاب « النسائيات » ومن أبرز رائدات النهضة النسائية في ذلك الحين .

لقي كتاب مي في نقد « الباحثة » ، لدى صدوره ، إعجاباً شاملاً حتى عدّه العقاد أحب كتاب الى نفسه بين كتب مي ، لأنه « يمثل أكبر جانب من تفكيرها وطبيعتها وأسلوبها »<sup>(٢)</sup> . وفي رأي فؤاد البستاني : « أحاطت الشخصية الانثوية بباحثة البادية حتى أدقّ ملاويها فكشفت عن نواحٍ منها لم يكن يسهل

---

(١) ولدت ملك حفي ناصف سنة ١٨٨٦ وتوفيت في ١٩١٨ .

(٢) « مي أديبة الشرق والعروبة » ، م. س. ، حديث للعقاد عن مي .

ص ١٨٥ .

كشفها إلا لامرأة مثقفة ثقافة الرجال ، (١) .

مي في هذا الكتاب تكتب باندفاع وجرأة الكاتبة التي أحببت شخصية « الباحثة » وتفهمت نفسياتها . تسلك في النقد طريقة عصرية تمتاز بجودة التقسيم ودقة التحليل . ومع إسرافها العاطفي في امتداح المؤلفة ، لا تخشى مناقضة آرائها حين تجد سبيلاً للمناقضة .

تمهّد للموضوع بذكر اول زيارة قامت بها للمؤلفة ، بعد تعارف جرى بينها بطريقة المراسلة . فتصف المكان والزمان على طريقة الرومنطيين :

« ذهبت إليها والشفق يضرم ناره في قلب الأفق والسحب قد انقلبت هنا لهيباً ، وهناك أنواراً ، وهناك ألواناً . ايّ نفس لا ترتعش اغتباطاً أمام جلال الغروب ؟

« على أن اغتباطي بمنظر الغروب في ذياك المساء لم يكن ليليني عما ينتظرني من جديد ولا ليحبس عن ذهني أسئلة تتعاقب على فكر المرء قبيل اجتماعه بشخص غريب » (٢) .

---

(١) « باقات من حداثتي مي » م. س. ص ١٢٨ ، نقلًا عن جريدة « المكشوف » عدد ١٤٨ .

(٢) « باحثة البادية » ، منشورات مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٢ .

ان قسماً كبيراً من الكتاب يتركز على تحليل شخصية الباحثة . فالفصل الاول عنوانه : « المرأة » ، الثاني ، « المسلمة » ، « الثالث » ، « المصرية » . يليه فصول : « الكاتبة » ، « الناقدة » و « المصلحة » .

« لم أقابلها مرة إلا وهي صبيحة الوجه ، طليقة المحيا ، برّاقة العينين ، والبسمة تلعب على شفتيها . لكن هذه كلها ستائر تنسدل على حركات الحياة الحقيقية ، حاجبة عن النواظر معانيها العميقة . وهل في وسع من ذاق مرارة الفكر وحلاوته ان يكون سعيداً بالمعنى الذي يقصده البشر ؟

« ولكن لا نتقن على الألم . فهو مغدّي الذكاء ومهذب الشعور ومنبّه الإدراك الى معان جمّة وأساليب فكرية كثيرة .

« ان مزاج باحثة البادية... وجنسها النسائي وقوة عواطفها وحدة ذكائها ، كل ذلك كان مشتركاً في تكوين طبيعتها السريعة الانفعال ، وواضحاً فيها قابلية شديدة للألم ... اقرأ كل ما كتبه تجد أننا متواصلين بخترقه من اوله الى آخره . وذلك الأنين الذي يكاد ينقلب ركزاً ، ينقلب ساعة الوجع الشديد زثيراً وعويلاً » (١) .

في وصف شخصية الباحثة ، تذكرنا بأسلوب الباحث

---

(١) « باحثة البادية » م. س. ص ٢٧ - ٢٨ .

السيكولوجي حين تقول :

« ان في بعض الناس قوةً لا تكيّفها النعوت . ليست هي الذكاء ، وإن كان الذكاء بدونها بلادة . ولا الجمال وإن عديم الجمال ميزة التأثير بفقدانها . ولا هي توازن تراكيب الجسم وتناسب الاعضاء ونضارة الصحة ، وكل هذه تافهة إذا حرمت منها ... لقد دعي ذلك العنصر مغنطيساً وكهرباء وجاذبية ولطفاً وخفة دم وخفة روح و«نفاشة» . لكن جميع هذه المعاني ليست إلا أجزاء منه وتشترك معها في تأليفه معان أخرى ، شتى .

« انها بروق الذكاء المتألقة في العيون ، وسيال اللطف المتدفق في الابتسام ، وأغنية الروح المتأوجة في نغمة الصوت . هي سحر الحركة وهي وسم الامتياز وهي جلال الهيبة وهي قداسة السكوت ...

« وكل من عرف باحثه البادية شخصياً أي معرفة الجسد ، أو معنوياً ، أي معرفة القلم ، علم انها كانت حائزة لهذه القوة التي حارت في تعريفها الأسماء » (١) .

« انها تضحك بسرعة وسهولة وفي صوتها رنين كرنين أصوات الاطفال . تضحك بكل قواها ، كمن يضحك من قلب لم يخالطه بعد معنى الكآبة ولم تنزل بساحته وطأة الهموم . وما أشد ما

---

(١) « باحثه البادية » م . س . ص ٣١ - ٣٢ .

يُسِرّ السامع بهذه الضحكة المملوءة طيباً وذكاء . ولولا أن خيالات الفكر والكآبة تتأيل على جبهتها السمرء الجميلة ، لتساءل المرء أهو في حضرة امرأة ذاقت طعوم اللوعة والألم ؟ <sup>(١)</sup> .

ولأن الباحثة امرأة بكل معنى الكلمة ، فهي تجاري المرأة في تقلبها . فبينما تدفعها كبرياؤها الى إنكار شفقة الرجال على النساء ، ومطالبتهم بالاحترام بدلاً من الشفقة ، نراها في وقت آخر عائدة الى الاستعطاف والابتهاال <sup>(٢)</sup> .

من مظاهر أنوثتها أنها ، الى جانب قلمها الذي « كان صريه يشبه احياناً وخز حربة صغيرة غُمست في مداد إنما هو مزيج من مرارة ولهيب » ، كان لديها سلاح نسائي محض ، وهو الضحك وما يتقدمه من نظرات لطيفات المعاني وما ينتج عنه من إرضاء الجميع دون إغضاب احد والتخلص من المواقف الحرجة بمهارة وبساطة .

« في اجتماع نسائي عُقد في بيتها ، دار الحديث حول أيها أحقّ بولاء المرأة ، والدها أم زوجها ؟ واختلفت الآراء حتى دخلت الباحثة بين المتناقشات وقالت بلهجة جمعت بين الجد

(١) المصدر نفسه ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢ - ٤٤ .

والمزح : « مكثتُ في دار أبي عشرين سنة ولمّا تتم لي هذه المدة عند زوجي » . فقاطعتها هنا بعض الزائرات قائلات : ما هذا؟ أتجعلين طول الإقامة ميزاناً للحب ؟

« لو قالت : « تتبع المرأة زوجها » لغضبت الامهات . ولو قالت « تتبع والدها » لسخطت الاخريات . فلم تقل هذا ولا ذاك ، بل ضحكت وسط الضوضاء والاحتجاج والاعتراض ضحكة فضية كرنين البلور على البلور ، أعقبتها بنكتة صغيرة أقفلت باب الموضوع وأرغمت الحاضرات على الاشتراك في الضحك » (١) .

في الفصل الذي عنوانه « المسلمة » ، ترينا تعلق الباحثة بدينها الى حد إدخاله في كل أمر . فباسم الدين تنتقد الرقص الذي يبيع مخاصرة الرجال للنساء وما يتبع ذلك من تهتك وميل عن جادة الصواب وإخلال بالشرف .

ومي تناقش الموضوع فلا ترى بأساً في مراقبة الهوانم بعضهن لبعض اذا توفرّ لهن إتقان البولكا والمازوركا والفالس ، او مراقبة أزواجهن وإخوتهن . كذلك تحبّذ مي للنساء ممارسة التمثيل الذي تنكره الباحثة . لكنها رغم اشتراكها في الرقص المختلط لا تحبّذه كثيراً .

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٧ - ٤٨ .

في عهد الباحثة احتدم الجدل بين أنصار السفور وأنصار الحجاب ، لا سيما عقيب ظهور « تحرير المرأة » لقاسم أمين<sup>(١)</sup> .  
والباحثة في كتابها حبّدت السفور مبدئياً وطالبت به تدريجياً  
وبمنتهى الحذر . وأقرته للمتعلّقات فقط ولكن « ضمن حدود  
الاعتدال والدين » .

باسم الدين انتقدت الباحثة مدارس الراهبات لإهمالها تعليم  
العربية والتاريخ الإسلامي . فتدافع مي عن هذه المدارس دفاعاً  
يعزّزه الاختبار لأنها كانت في حداثتها تلميذة راهبات الزيارة في  
عينطوره . تشني على اهتمامهن بتعليم اللغات الأجنبية الضرورية  
للشرقيين . أما اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والشرقي فما الذي  
يمنع الأهل من تدريسها لبناتهن بعد خروجهن من المدرسة ؟  
وتضيف : « هل يكفي المرء في هذا العصر بكونه حافظاً  
لتاريخ الشرق ، مستظهِراً متون سيبويه وحواشي الصبّان ، إن  
لم يكن له إلمام بمعارف الغير مع إتقان لغة أجنبية واحدة  
على الأقل ؟ » .

ثم تدافع عن تعصّب الباحثة بقولها : « أوليس التعصب من  
أشدّ العواطف ملاصقة للنفس ؟ حدّثوني عن تسامح من لم يكن  
متعصباً لأضحك قليلاً . من هو هذا الشخص ومن أي مذنب

---

(١) توفي قاسم أمين سنة ١٩٠٨ .



مجهول في فيافي الفضاء هبط علينا ؟ » (١) .

وفي « مصرية » الباحثة تقول : « ان خفة الروح المصرية تفرغ على جميع سطورها . انها تستوقفك الوقت بعد الوقت بنكتة غير منتظرة وتهكم شائق يناسب الموضوع » . ولا يفوت مياً ان تذكر أن « جميع الاقطار العربية تعترف للمصريين بالمقام الاول في عالم الظرف » ، وان تورد امثلة حسنة من نكات الباحثة في « النسائيات » .

وتشني على تعلقها بوطنها ، وعلى حماستها في الدعوة الى المحافظة على الطابع الشرقي إزاء سيل المدنية الغربية الزاحف ، وتؤيد خوفها على مصر من تضييع شخصيتها وأصالتها . « ولكن » ، تقول مي : « إذا كان في الأمر المطلوب ما يكمل من الإنسان قوى لم يبرز إلا بعضها ، او أن في ذلك الأمر اقتداراً على تنبيه قوى جديدة مجهولة ، فما تنفع الآراء ؟ .. ترى هل فنت قوة اليابان منذ احتضنت المدنية الاوروبية واستخدمت مظاهرها ؟ أم تُحسب اليابان من الراجحين ؟ » (٢) .

من آراء الباحثة التي تعجب بها مي تصريحها بأن إقبال المصريين على تزويج الأجنبيات من شركات واوروبيات

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) م . ن . ص ٦٦ - ٧١ .

وسواهن مضرّ بمصلحة النساء والوطن . لكنها تعترض على قولها ان الحب يكون امتن بين مصري ومصرية منه بين مصري وفرنسية ، او بين انجليزي وزنجية ، مثلاً ، لأن الحب في نظرها هو «العالم الأنور الذي تتلاشى عنده كل جنسية وكل تحزّب» . وتستحسن خصوصاً دفاعها عن السُمرة ، عن اللون المصري الذي ينكره اولئك الذين يتزوجون الشقراوات والبيضاوات من نساء اوروبا وتركيا وهم بذلك ينكرون سحر اللون المصري وجاذبية الارض المصرية . وتشاركها في توجيه اللوم الى المصريين والمصريات ، الذين يقيمون في مصر ولا يعرفونها . يجهلون الاهرام « وهي على قيد قلّة العيار من القاهرة » . والآثار تخبرنا عنها السائحات الاجنبيات فنبدى جهلاً مزرياً ونعجب مما يقصصن علينا . وتاريخنا مبعثر في الارض من قديم وحديث وليس من يُلمّ به غير الكتب الجامدة الخالية من الروح <sup>(١)</sup> .

في نقدها للباحثة « الكاتبة » ، تبرز شخصية ميّ الكاتبة ، إذ تتوسع في بسط نظرياتها في ماهية الكلمة والأسلوب . « ان الكتابة التي يراها الكثيرون مسألة هينة ، اكثر الفنون دقة وعسراً ... كلمات النفس حركات خفيفة لطيفة ، فكيف يتيسّر نقل هذه الخفة واللطافة بالكلمات البشرية الكثيفة ؟ » <sup>(٢)</sup> .

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٤ .

(٢) م . ن . ص ٨٠ - ٨١ .

تجيد مي اختيار الأمثلة التي تبرهن عن مقدرة الباحثة وموهبتها الكتابية . تنقل فقرة من إحدى مقالاتها يجاوز طولها عشرة سطور ، حشدت فيها صوراً طريفة منوعة اقتبستها من الطبيعة لتعزيز بها فكرتها الواحدة<sup>(١)</sup> . وتري مي في هذه « الطيرة الفكرية » دليلاً على صدق موهبتها الابداعية ، « لأن الفكر الذي يبقى ضيق الحدود ما ظل مستقراً على الجزئيات ، ينفتح منه الجناح بانطلاقه الى الكليات ، فيستنسر محققاً في آفاق بعيدة ، ويتسع منه الكيان ممتداً في تمدد الكون الذي هو جزء منه »<sup>(٢)</sup> .

كذلك في الفصل الذي موضوعه « الناقدة » تعرف مي النقد بقولها انه ملكة فطرية يثقفها الاطلاع والملاحظة والاختبار . وتري ان الباحثة ناقدة بفطرتها . « لو نفينا عنها كل صفة كتابية وجرّدناها من جميع نعوت الإنشاء ، لظلت ناقدة في كل كلمة خطتها يراعها . لكن موهبتها النقدية تثقفت بالدرس والاطلاع على مناطق البيئة المصرية مما لم يكن ميسوراً لسواها »<sup>(٣)</sup> .

في هذا الفصل تورد موضوع تفضيل الصبي على البنت الذي تهاجمه الباحثة وتتألم منه . وتقول مي انه لا يقتصر على الشرقيين

(١) المصدر نفسه ص ٨٢ .

(٢) م . ن . ص ٨٤ .

(٣) م . ن . ص ٩٣ - ٩٤ .

بل يشاركهم فيه الغربيون . ثم تحاول تعليل هذا الموقف .

وتشارك الباحثة أُلها من ظلم الوالدين للبنت وتقييد إرادتها حتى في اختيار الثوب الذي تلبسه . وتلاحظ ميّ هنا أن الشعوب اللاتينية إجمالاً لا تختلف كثيراً عن الشعوب الشرقية في قسوتها على المرأة . وهي من هذه الناحية متخلفة عن الشعوب الانجلوسكسونية التي قطعت في هذه الطريق شوطاً بعيداً<sup>(١)</sup> .

ثم تستعرض كلاهما مساوىء التربية التي تضطلع بها الأم الجاهلة والأساليب الاستبدادية التي ينهجها الوالدون في تزويج بناتهم ، إذ يعتبرون البنت ألعوبة لا صوت لها في الجماعة ، متغافلين عما تنتجه تلك الأساليب من ضروب الشقاء والانشقاق.

تقول الباحثة : « إذا روعيت شروط الحكمة ، فقلّ أن نرى هذا الشقاء المخيم على البيوت المصرية ، الهادم لمعنى الزوجية . وخير للفتى والفتاة أن يعيشا أعزبين من أن يتزوجا بثالث هو البؤس والعذاب »<sup>(٢)</sup> .

وتضع قائمة بعيوب المرأة الجاهلة التي تهدم مجملها سعادة بيتها . ثم تلتفت الى الرجل فتعدد عيوبه كذلك . وتركز على

(١) المصدر نفسه ص ٩٧ .

(٢) م . ن . ص ١٠٢ .

موضوع « الضرر » او التزويج بعدة نساء ، فترى فيه « جميع  
انواع المتاعب للرجل وأكبر اسباب الغم والتعاسة للمرأة » .

أما مي فتتالم لأن « العائلة التي وجدت لتكون مستودع  
السعادة الظاهرة تصير على قول الباحثة مستنقع الحشرات  
والكوارث والقنوط » .

في فصل « المصلحة » ، تلخص مي الاصلاحات التي  
طالبت بها الباحثة في « نادي حزب الأمة » وفي « المؤتمر  
الاسلامي » . ولا ارى بأساً من إثباتها مع ان امرأة اليوم قد  
جاوزتها . فمنها ، عدا المطالبة بالتعليم الاولي المجاني للبنات ،  
وبالتعليم الثانوي غير الإجباري ، منع النساء من المشي في الجنازات ،  
ومن الاجتماع للنسب واللمم والصراخ والتعديد بالطريقة  
القبيلة . ومنها اتّباع الطريقة الشرعية في الخطبة ، فلا يتزوج  
اثنان قبل ان يجتمعا بحضور مُحَرَّم<sup>(١)</sup> . مكافحة عادة التزويج  
القسري وعادة الضرر الكثيرة التفشّي بين العامة خصوصاً .  
السماح للنساء بحضور الصلاة والوعظ في المساجد . اتّباع عادة  
نساء الأتراك في الاستانة في الحجاب والخروج ، أي التمهّل  
والحذر في تقرير السفور<sup>(٢)</sup> .

(١) أي ان يكون اجتماعه بها بحضور من لا يحلّ له نكاحها .

(٢) « باحثة البادية » م . س . ص ١١٠-١١٦ .

تطالب « الباحثة » كذلك بتعليم الطب لعدد من النساء يكفي حاجة بنات جنسهن، في وقت كان فيه الرجل يرفض ان يُري زوجته المريضة أو أمه أو أخته اطبيب يكشف عن وجهها وجسمها .

وتزيد مي على تلك المطالب واحدأ هو تعليم المرأة مبادئ القانون لتتمكن من إدارة مصالحها وتأمين خداع الرجال الموكّلين بشؤونها (١) .



هنا أنتهي من عرض سريع لكتاب « باحثة البادية » . ولا يتسع المجال لعرض الفصلين الممتعين اللذين لخصت مي فيها كتاب « تحرير المرأة » لقاسم أمين ، من باب المقابلة بينه وبين « باحثة البادية » . ففي كتاب قاسم أمين القاضي والطبيب نظرة مستقبلية لا نجد لها في « النسائيات » ، التي تعبّر مؤلفتها عن حركة إصلاحية غرضها إحياء روح الدين الحنيف في معاملة المرأة المسلمة ، بنبذ عادات وتقاليدها وتخالف روح الدين

---

(١) في اقصوصة لمي عنوانها « العم ابو حسن يستقبل » ، انفردت بنشرها مؤخراً مجلة « الحساء » في عدد ٧٤٦ ، ١٨ شباط ١٩٧٧ ، تنتقد الكاتبة عادة اطلاق حرية الرجل في موضوع الطلاق بحيث ينساق الى تعديد زوجاته وتكثير عدد النساء البائسات والأولاد المشردين .

الذي يأمر بإنصافها . أما قاسم أمين القاضي والطبيب ،  
فيستخدم التحقيقات الشرعية والعلمية والقانونية والسيكولوجية  
طمعاً في إيصال المرأة المصرية ، والشرقية ، الى المستوى الذي  
يحلم به المثاليون وأصحاب الرؤى الانسانية .

في « باحثة البادية » انطلقت مي في بسط ما أمكنها بسطه  
من آراء اجتماعية وأدبية . ادجت في فصول الكتاب ما وسعها  
إدماجه من إشارات واقتباسات زادت كلامها غنى وتنوعاً .  
فالكتاب بما وضعت فيه من روحها ما زال على قدم عهده جديراً  
بالمطالعة ، لا سيما كنموذج لأسلوب مي النقدي .

إلا أن هذا الكتاب لا يعبر عن رأي مي في المرأة ، وإن  
وافقت على الكثير مما جاء فيه . لذلك كان دورها في النقد يكاد  
ينحصر في تحليل شخصية المؤلفة ومناقشة بعض الآراء الجانبية  
الواردة فيه .

ليس لمي في موضوع المرأة كلام كثير . وإن عدت بثقافتها  
وتفرغها للكتابة من رائدات النهضة النسائية . في محاضرة  
عنوانها : « المرأة والتمدن »<sup>(١)</sup> تستعرض تاريخ المرأة الذي  
تقول انه « تاريخ استشهاد طويل » . تشير الى مراحل تحررها  
البطيء في الغرب وفي الشرق . تذكر بعض شهيرات العصور

---

(١) « كلمات وإشارات » م . س . ص ٢٩ .

القديمة والحديثة ، تؤكد ان القرن العشرين هو عصر المرأة لكنها لا تشير الى اصلاحات او مطالب معينة .

وقد سبق القول أن ميّاً من نصيرات الاعتدال في هذا المجال لذلك ناقشت رأي جبران في « الأجنحة المتكسرة » حيث استهجنّت خروج البطلة سلمى من بيت زوجها للقاء حبيبها خفية ، وإن كان هذا اللقاء بريئاً ، لا يسيء الى الأمانة الزوجية .

هذا الموقف المعتدل تعبّر عنه في مقال نشر اجزاء منه الكاتب سلامه موسى في ما كتبه عن مي في عدد نيسان من مجلة « الهلال » ١٩٢٤ حيث يقول (١) :

« وهاك مثلاً ما تقوله عما يجب ان تتعلمه المرأة الشرقية :

اولاً في إرضاء الرجل ولا اقصد بذلك ارضاءه من الوجهة الجنسية ، فالمرأة الشرقية ابرع نساء العالم في هذا الفن . ولكن اريد ارضاءه من الوجهة العملية والروحانية . أي يجب أن تهنيء وسائل الراحة في البيت وأن ترقى بفكرها الى مستواه ليأتنس بها ولا يهجرها الى البارات والقهوات . ثم يجب ثانياً تعليمها تدبير المنزل وتربية البنين . ويجب ثالثاً ان نعلّم المرأة المتوسطة

---

(١) « باقات من حداثتي مي » م . م . ص ١٩٣ - ١٩٤ .



والغنية كيف تكون امرأة صالون محدثة انيسة . إني اكره  
المرأة المسترجلة وأعتقد ان وظيفة المرأة الحقيقية ان تكون أما  
وزوجة .

في هذه السطور تبدو لنا مي في موقفها المحافظ من قضية  
المرأة . لكنها في المقارنة التي تعقدها بين الباحثة وقاسم أمين في  
القسم الاخير من الكتاب تعلن تأييدها للآراء الجريئة التي  
يتضمنها كتاب « تحرير المرأة » حيث يريد لها صديقة وشريكة  
للرجل في افكاره ومشاعره . يريد لها قدرة على استخدام معارفها  
في تحصيل معاشها بطريقة ترضيها وتكفل راحتها واستقلالها  
وكرامتها ، اذا لم تتزوج او اذا فقدت الزوج لسبب من  
الأسباب<sup>(١)</sup> . ويقول : « يجب أن تربى المرأة على ان تكون  
لنفسها ، لا ان تكون متاعاً لرجلٍ ربما لا يتفق لها ان تقترن به  
مدة حياتها . يجب ان تربى على ان تدخل المجتمع وهي ذات  
كاملة ، لا مادة يشكّلها الرجل كيفما شاء . يجب ان تربى  
المرأة على ان تجد اسباب سعادتها وشقاؤها في نفسها ، لا في  
غيرها . »

في مقالة لي عنوانها : « قتل النفوس » ، نراها تحمل على

.....  
(١) « باحثه البادية » م. س. ص ١٥٧ وفي هؤلاء النساء تقول مي :  
« لقد انصفهن قاسم » .

الأهل الذين يفتحون رسائل بناتهم فتقول بلسان الفتاة الشاكية من هذا الظلم : « هذه المعاملة تعذبني منذ شهور لأنها تتم عن ضعف ثقتهم بي وأنا لم أفعل قط ما يستوجب سوء الظن . وصرت أتألم كلما وردت إلي رسالة لأنها تذكرني بأن في بيتنا قلم مراقبة » (١) .

وفي حديث لمي مع العقاد ، ناقشت فيه وإياه موضوع الديمقراطية ، أشارت الى حق المرأة في الانتخاب ، وكان حينذاك من الموضوعات الحرام في المجالس وفي الصحف . لكن العقاد ينكر على المرأة هذا الحق بحجة أنها بفطرتها « غير ديمقراطية » . إذا ذهبت الى صندوق الاقتراع ، تقترع للمرشح الذي يملك سيارة ، مفضلة إياه على المرشح الذي يسير ماشياً على قدميه . غير أن مياً تصر على الدفاع عن موقف المرأة وتقول : إذا ثبت أنها تفضل صاحب السيارة فلا بد ان تكون لها مبرراتها في هذا التفضيل (٢) .

هكذا نرى أن آراء مي في المرأة ، رغم تقديمتها ، متأرجحة ، تميل الى مراعاة مستوى البيئة التي لم تكن حينذاك

.....

(٢) « مي زيادة في مذكراتها » م . س . ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٢) « مي أدبية الشرق والعروبة » م . س . ص ١٨٨ - ١٨٩ .

مستعدة لقبول التطوير الجذري في هذا الموضوع ، والتي رمت  
« قاسم أمين بالكفر والإلحاد لأنه جنى هذا الإثم الفظيع الذي  
يدعى المناداة بإصلاح المرأة » ،<sup>(١)</sup> .



.....  
(١) « باحثة البادية » م. س. ص ٢١٤ من خطبة مي في تأبين  
باحثة البادية .

## نقد أدبي عائشة التيمورية

عائشة التيمورية شاعرة رائدة من شاعرات مصر ( ١٨٤٠ - ١٩٠٢ ) تنتمي الى أسرة ارستوقراطية تتمازج فيها اصول ثلاثة : كردي تركي شركسي . نبغ منها عدد من الادباء والباحثين منهم احمد تيمور باشا وولده : محمد الذي اشتهر بكتابة القصص ومات في شرح الشباب ، ومحمود ، صاحب الابحاث الادبية واللغوية ، والمؤلفات القصصية العديدة .

لمعت هذه الشاعرة في عصر ظلمة . وقد أصابت مي حين شبهتها بالبارق في الظلام ، لأن في نتاجها الشعري والنثري ملامح شخصية يفتقدها نتاج سواها من الرائدات .

في « باحثة البادية » ركزت مي اهتمامها على تحليل شخصية « الباحثة » : المرأة ، المسلمة ، الكاتبة ، الناقدة ، المصلحة . أما في « عائشة التيمورية » ، فتتجه اتجاهها آخر ، لأن معلوماتها عن شخصية التيمورية قليلة محدودة إذا قيست بما عرفته عن

صديقتها ومجايلتها ملك حفي ناصف . ولأنت النزعة التقليدية المسيطرة على شعر الاولى كادت تطمس شخصيتها . لذلك وجهت اهتمامها في هذه الدراسة الى العصر والبيئة اللذين ترعرعت الشاعرة في أحضانها ثم انتقلت الى تحليل آثارها الشعرية والنثرية تحليلًا فيه الكثير من الجهد والاخلاص .

نجيل لي أن الاخلاص صفة مي الاولى في كتاباتها . من يقرأها يشعر أنها تحب موضوعها وتنصرف اليه بكل قواها . نقدها شبيه بالحديث الحميم الذي تتوخى فيه إمتاع القارئ مع المحافظة على اصول النقد وما يفرضه من تدقيق وصدق وموضوعية .

تناول عصر التيمورية الذي يمثل دور اليقظة والتعلم في تاريخ النهضة ، فتريك من وجوه النشاط الفكري ما لا بد من وصفه . تستعرض ما قام به محمد علي من إصلاحات زراعية ، صناعية ، حربية وثقافية . تقف وقفة طويلة عند اسماعيل الذي بعث في مصر شرارة الفكر التي أوقدها جدّه . وبعد ان تتوسع في الكلام على قادة الفكر نظير الأفغاني ، محمد عبده ، أديب اسحق وسواهم ، تنقل فقرة لقاسم امين كتبها سنة ١٨٩٤ في رده على الدوق دار كور الذي انتقد بعنف انحطاط المجتمع المصري وتخلّف نسائه ، جاء فيها : « إن الحرية التامة ، سواء في التفكير أو في الكتابة ، أصبحت مباحة . وإن المصري يتمتع

الآن بكل ما وضعه الاعلان الشهم عن حقوق الانسان « (١) .

ولأنها تحدثنا عن شاعرة ، تذكر تطوّر الشعر فتقول :  
« ظهر مع الشعر الفصيح ضروب من الشعر العامي كالمواليّـا  
والزجل » وقد عاجلت عائشة النوعين . « وتطوّر النثر بخروجه  
من معمعة السجع والجناس والاستعارة والتورية » . وكان  
انتشار الصحافة وذيوع العلوم الطبيعية عاملاً في هذا التطوير .

في وضع المرأة آنذاك ، تشير الى سيطرة الجهل على النساء ،  
حتى نساء الطبقة الموسرة ، اللواتي لم يسمح لهن بالخروج الى  
المدارس ، فكنّ يتلقّين العلم في منازلهن على أيدي معلمين  
ومعلمات خصوصيين ، كما فعلت عائشة .

في وصف بيئة الشاعرة وحياتها البيتية لم يكن في وسع  
مي الحصول على مصادر عربية تهتدي بها فعمدت الى مصادر  
أجنبية لسيّاح وكتّاب أجانب عرفوا مصر في تلك الحقبة  
وكتبوا مشاهداتهم . تقتبس خصوصاً من كتاب فرنسي وضعته  
سيدة فرنسية ، كانت الزوجة الاولى لحسين رشدي باشا ،  
ووقّعته باسم مستعار : « نيّة سليمة » ، عنوانه « دور الحرّيم  
والمسلمات في مصر » ، وفيه وصف شائق ، دقيق ، وبريء من  
التحيّز ، لحياة أولئك الارستوقراطيات المحجوبات داخل

.....  
(١) « حلية الطراز » ، ديوان عائشة التيمورية ، القاهرة ، دار الكتاب  
العربي ، ١٩٥٢ ، ص ٤٤ .

منازلهن ، بما فيها تقاليد الزيارة والضيافة والحديث التي انتقلت اليهن من الاتراك .

تحدث مي عن هذه التقاليد بكثير من التفهم والتعاطف فتقول : « كم من نُبْل وكياسة في التحية التركية وكم تنويعها ميسور ! وكم هي لطيفة عادة تشييع الزائرات عند ربّة البيت إذ تتقدّمهن الى الباب بدلاً من السير وراءهن ! وإني لأؤثر هذا على السير وراء الزائرات كمن تطردهن طرداً وتقتفي أثرهن لتكون على ثقة من ذهابهن والتثبت بأنها تخلّصت لحين ما من ورطة وجودهن ! » .

وتتخيّل بشيء من التدقيق حياة عائشة في تلك البيئة المغلقة « حيث كانت أمها - وهي شركسية الأصل ، معتوقة والدها اسماعيل تيمور باشا - تحاول إرغامها على تعلّم أشغال الإبرة والتطريز ، كما كانت عادة الفتيات آنذاك . لكن الفتاة تبرم بهذه الأشغال ، إذ تشعر بميل فطري الى العلم لعلها ورثته عن أبيها ، فتكبّ على الدرس والمطالعة . فما كان من الوالد العطوف إلا أن رتّب لها استاذين أحدهما لتعليم الفارسية والثاني لتلقين العلوم العربية ، وصار يسمع ما تتلقّاه من الدروس كل ليلة بنفسه » .

في هذه المقدّمات التي تناولت فيها مي عصر الشاعرة وبيئتها وسيرتها ، يلفتنا أولاً اجتهادها في استنفاد المصادر على

قلّتها. ثانياً بروز شخصيتها من خلال ما تكتب، فهي لا تكتفي  
بسرد المعلومات بل تحرص على إبداء رأيها . فعادة تزوّج  
الجواري المعتوقات التي يستنكرها الأجانب عند الشرقيين، تجد  
في مي من يدافع عنها ويظهر محاسنها . ومما تقوله: ان الجواري  
لسن دائماً من أصل وضيع . وقد يرافقهن الحظ فيتوصلن الى  
أعلى المراتب ، فيحقّقن بذلك آمال والديهن . وكان الرجل  
يرغب في الجارية لأنه يستطيع أن يراها ويختارها ، بخلاف بنت  
الاسرة التي يتزوّجها من غير ان يعرفها . وبما انها تعيش في بيته  
بعيدة عن أهلها ، تصبح بذلك في منأى عن سيطرتهم وتطفّلهم  
وتدخلهم في شؤونها العائلية . هذا التدخل الذي كثيراً ما  
يعكّر صفو الحياة الزوجية أو يهدمها . ولقد قالوا بحق ان آدم  
كان أسعد الأزواج لأنه سلم من شرّ الأحماء .

في حديثها عن ميل عائشة الى العلم وإهمالها لأشغال الإبرة ،  
تعارض مي الخطأ الشائع القائل ان الفتاة إذا أحبّت العلم  
والدرس ، وبرعت في فن أو معرفة ، ترجلت . فتودّ عليه  
بقولها انها تعرف فتيات ونساء كثيرات يجمعن بين الاعمال  
الأدبية وأشغال الإبرة والتفصيل . « ثم أليس من الغريب أن  
الرجل ، إذا هو برّز في الشعر أو الفن أو الفلسفة ، تأنّث  
بعض الشيء ، بمعنى انه يرقّ فكره وتُصقل عواطفه . فكيف  
تتحوّر العوامل الذي يتأنّث بها الرجل فتكون عند المرأة  
مدعاةً للترجّل ؟ » .



في ما أوردته مي من تفاصيل عن حياة بطلتها ، تستند  
بنوع خاص الى مقدمة ديوانها التركي والفارسي ، التي ترجمها لها  
محب الدين الخطيب المحرّر بجريدة « الأهرام » ، تصف شروع  
عائشة في نظم الشعر وتذكر قول والدها : « إذا لم يكن  
الشعر باللغات الثلاث : العربية والتركية والفارسية ، لا تكون  
له حلاوة » . وحين أكبّت على النظم باللغات الثلاث ، فوجئت  
بقيد الزواج فاضطرت الى إهمال هوايتها ولكن الى حين .

ثم تحدّثنا مي عن حياة عائشة العائلية . عن تعلّقها ببنتها  
الكبرى توحيدة ، التي يبدو أنها ورثت عن أمها موهبة الشعر  
فنظمت في سن الثانية عشرة . وفي هذه السن ، سلّمتها أمها  
إدارة المنزل ليتاح لها الانصراف الى شعرها وكتابتها . لكن  
توحيدة توفّيت وهي دون الرابعة عشرة ، في السن التي كانوا  
فيها يهيّئونها للزواج .

ما كان أشد لوعة الأم على ابنتها الموهوبة التي عاملتها  
كأخت وصديقة . فقد نذبتها سبع سنوات حتى أصابها الرمد  
وضعف بصرها . لكنها عادت الى الشعر والكتابة ، تجدد فيها  
عزاء ، وتحاول بما تكتبه من قصص ومقالات ، أن ترفّه عن  
المغبونين الذين لقوا من الدهر ما لقيت ، بأن تبتدع لهم أحاديث  
تسلّتهم عن أحزانهم ، « في غربة الوحدة التي هي أشد من  
غربة الديار » .

في نقدها لشعر التيمورية ، تبدأ بتعريف الملكة الشعرية ،  
ثم تذكر نشوء الشعر عند العرب وسيطرة التقليد على شعرائهم  
وفوضى التدوين وانعدام التنظيم والتنسيق وفقدان تأريخ  
القصائد ، كما هو الحال في ديوان عائشة .

تصرح بأن شعرها تقليدي في أسلوبه ومعانيه . ولكن  
« الأمر الذي يسببني في شعرها ان شخصيتها تبدو من خلال  
المحفوظات ( أي التقليد ) كما يبدو الجسد في لوحة تصويرية من  
خلال الأنسجة الشفافة » . فقد تخلّصت من بعض الأساليب  
التقليدية كالبداية بالغزل والمفاخرة بالأهل .

لكن ميّاً لا تعلّل تفرّدها هذا . أكان بتأثير درسها  
للفارسية والتركية وآدابها ، أم لأنها ذات طبيعة حرة ، تأبى  
التقيّد المطلق بالأساليب الموضوعية .

بعد أن تقسم شعرها الى خمسة أبواب ، تبدأ العرض  
والتحليل . فتشير الى الجيّد منه . الى الأبيات الموفقة والمعاني  
المبتكرة نظير وصفها الردي بـ « منهل التشيت » . وقولها في  
رثاء شقيقتها :

يا من أتى للقبر يقرأ طرسه مهلاً فليس كتابه بمسداد  
وأعد له نظراً فإن حروفه كتبت بذوب العين والأكباد  
وجدت وأعدمها الزمان حياتها ما أقرب الإعدام للإيجاد !

توافق مي على قول ناقدني عائشة بأن خير أشعارها ما  
نظمته في رثاء توحيدة . لكنها تضيف اليه مرثيتها للشيخ إبراهيم  
السقا الذي « يلوح كأنه عضو من عائلتها فتتوجع لفقده » .

وفي تحليل مرثاتها لابنتها ، تعطينا مي مثلاً من توارد  
الخواطر بينها وبين الشاعر تنسن في رثاء صبيّة . ففي كلتا  
القصيدتين ، نسمع الفتاة المحتضرة تخاطب أمها . تفضي إليها  
بمشاعرها ساعة الاحتضار وتودّعها وداعاً مؤثراً .

هذا الأسلوب في وضع الكلام على لسان فتاة ميتة ، يبدو  
جديداً أو - على الأقل - غير مألوف في المراثي العربية .

بعد أن تبسّط مي في تحليل شعر عائشة العاطفي من رثاء  
جيد وغزل تقليدي ، تتناول بالنقد شعرها الاخلاقي الذي ضمّنته  
التجارب والحكم والنصائح المألوفة عند شعراء العرب . منها  
النصح بالصبر والتعفف وحفظ اللسان والانضباط وما أشبه .

هنا يخطر لمي أن تناقش الشاعرة فتبيّن لها أن « المثاليين »  
من البشر الذين تحبّد نهجهم لا ينعمون بالسعادة على الارض في  
حين أن الدنيّا تبسم لذوي الاخلاق السيئة وتنيّلهم كل  
ما يبتغون .

لكن عائشة تجيب في شعرها بأن السعادة لا تدوم وكذلك

الشقاء . وانها في حال دوام الشقاء تفرع الى الله وتجد في الايمان به ملجأ واطمئناناً .

وتعقد مي هنا مقالاً في العاطفة الدينية العريقة المتأصلة في قلب الانسان . وتقدم أمثلة حسنة من شعر عائشة الديني . ولولعها بالمقارنة ، تقارن بين بعض هذا الشعر وقصيدة صوفية للقديسة تيريزا الاسبانية المسيحية التي عاشت قبلها بثلاثة قرون . لكنني لم أجد أي شبه بين القصيدتين ، إلا ما يجمع بينهما من عاطفة دينية ذائبة .

في الفصل الاخير من الكتاب نقد موسّع لنثر عائشة ، الذي منه قصة طويلة ، عنوانها « نتائج الاحوال » ، مليئة بالمغامرات والمفاجآت ، على نحو ما نراه في روايات المسامرة وقصص العجائز . مكتوبة بعبارة مسجوعة شبيهة بعبارات المقامات . تقول الكاتبة ان الغاية من مرد حوادثها تسلية القارىء بوصف عجائب القدر ، ومن العبرة التي تتضمنها ، حضه على مكارم الاخلاق .

وتنهي مي دراستها بعرض مقالات اجتماعية لبطلتها ، نشرتها في بعض الصحف وطالبت فيها بمكافحة بعض العادات الذميمة المتعلقة بالزواج . منها عادة اقتران الرجل بامرأة غنية تمنحها ثروتها حق الاستبداد بالزوج . وفي مقالة اخرى ، تحمل على عادة التبرج عند النساء والفتيات . فتدّ مي بأنها تريد للمرأة الاهتمام بمظهرها والعناية بزينتها ، شرط ان لا يبلغ ذلك

حد الإسراف .

أما المقالة التي تسترعي انتباه مي وتنال منها تعليقاً مطوّلاً فهي تلك التي تطالب فيها عائشة بأن تساوي المرأة الرجل في الأعمال ، فتفتح موضوعاً لم تجرؤ امرأة على فتحه في عصرها ولا يزال حتى اليوم مثار جدال ومعارضة ..

لكن ميّاً تعطي الجواب الفصل في نهاية التعليق الذي تحتتم به الدراسة : « ليس هناك سوى الجواب الذي لا تحبّون سماعه ، ولكن لا حلّ عن غير طريقه . فإما ما يزيد عن المساواة من الرجل المحبّ للمرأة المحبوبة . وإما المساواة عن طريق القانون من الرجل المنصف للمرأة الغريبة » .

إن جواب مي هنا لا يقل جرأة عن اقتراح عائشة في عصرها .

وبعد ، فإن كتاب مي في عائشة التيمورية يعطينا صورة حيّة ، مفصّلة ، لعصر هذه الشاعرة وبيئتها ونفسيّتها ، رغم ضآلة المصادر عنها جميعاً . يرينا فيها امرأة غير عادية ، نجحت في فرض شخصيتها وتأثيرها ، وتفوّقت في نوع إنتاجها وكميّته وقد عاشت في بيئة مغلقة تميّز بسحر البعد والغموض ، فلا بدع ان يستهوي ميّاً التنقيب عن مجاهلها والسعي لكشف أحوالها وخصائصها .

## نقد لغوى وفنى

لم يقتصر نشاط مي النقدي على الناحية الاجتماعية . بل ان ثقافتها المتعددة الجوانب هيأتها لأنواع مختلفة منه . رأيناها في « المساواة » ناقدة اجتماعية وفي « باحثة البادية » ناقدة لشخصية المرأة ولأسلوبها الكتابي فضلا عن آرائها الاجتماعية . لها عدة مقالات في النقد الأدبي ، نشر بعضها في تضاعيف كتبها وبقي القسم الآخر متفرقا في المجلات . منها نقد « وردة اليازجي » الشاعرة اللبنانية <sup>(١)</sup> و « عائشة تيمور » الشاعرة المصرية وقد سبق عرضه <sup>(٢)</sup> . ونقد « يسوع ابن الانسان » لجبران <sup>(٣)</sup> ، « مدام دو سفينيه وعصرها » ، و « بير لوتي الراحل الباقي » <sup>(٤)</sup> ،

---

(١) محاضرة نشرت في المقتطف ، ايار ١٩٢٤ .

(٢) محاضرة نشرت في أعداد المقتطف ١٩٢٣ - ١٩٢٥ ثم في كتاب على حدة . وفي « محاضرات عن مي » للدكتور منصور فهمي نصوص من المحاضرتين مع تقديمها .

(٣) في المقتطف ج ٧ سنة ١٩٢٩ .

(٤) نشرت المقالتان في « الصحائف » لمي ، عقيب نشرهما في المقتطف .

« بيرندللو ومسرحياته الوجيعة »<sup>(١)</sup> . ولها في الشعر القصصي الحماسي مقال تناقش فيه قول الشيخ كاظم الدجيلي العراقي بوجود الملاحم في الشعر العربي القديم<sup>(٢)</sup> .

ثم ان حرصها على تطوير اللغة العربية دفعها الى اقتحام موضوع النقد اللغوي ، كذلك ثقافتها الفنيّة والموسيقية خوّلتها حق معالجة النقد الفني . ومن أفضل ما كتبتّه في الموضوع الاول مقالة تبسط فيها رأيها في المجامع اللغوية ووظيفتها ، رأيت أن الختصّها في ما يأتي<sup>(٣)</sup> .

تبدأ مي مقالتها بتوجيه اللوم الى اعضاء المجمع اللغوي في مصر على الغيبوبة التي غرقوا فيها منذ استقالة أحمد لطفي السيد الاضطرارية من عضوية المجمع . تذكر الأعلام الذين اضطلعوا بتأسيس المجمع منهم يعقوب صروف ، الأب لامنس المستشرق الكبير ، شيخ الأزهر السابق ، حفني ناصف بك وأحمد لطفي السيد . تعتمد الى مناقشة رأي سبيرو بك الذي يريد من المجمع أن يطرح جانباً اللغة الفصحى بصعوبتها وتعقيدها ويأخذ بكل لفظة عامية تدور على الألسن لأنها تؤدي معنى من المعاني المطلوبة ، « فإذا اعتزم المجمع اللغوي على ذلك كان عمله نافعا ،

(١) في مقتطف يناير ١٩٣٥ .

(٢) « بين الجزر والمد » م. س. ص ٩٧ - ١٠٦ .

(٣) « بين الجزر والمد » م. س. ص ٤١ - ٦٤ .

وإلا فليدع الشعب وشأنه يتصرف بلغته كما يشاء .

تقول مي في ردّها على هذا الاقتراح ان الذين يتّهمون الفصحى بالصعوبة والتعقيد مخطئون لأن في اللغات الأجنبية الحية ما هو أصعب منها . وتذكر ان تضاعف اللغة ، أو ازدواجيتها بين لغتي الكتابة والتخاطب ، أمر طبيعي تشارك فيه لغات باقي الشعوب . وتبيّن ان تعدّد اللهجات المحكيّة واختلاطها في الأقطار العربية يحولان دون اتخاذه لجة واحدة منها وسيلة تفاهم بين العرب . أخيراً توجز وظيفة المجمع اللغوي في تطوير وخلق المصطلحات الجديدة بقولها :

« أولاً : أن يؤلف لجنة تبحث في كتب العرب . ففيها بحر زاخر من الألفاظ والمسميّات والمفردات الرشيقة البليغة التي نجعلها فيستخرجون منها كل ما يمكن الانتفاع به .

« ثانياً : أن يؤلف لجنة أخرى توجد لجميع المسميّات والمعاني والأدوات الجديدة أسماء وتعبيرات سهلة ، إن لم تكن في كتب العرب ، فمن طريق النحت والاشتقاق والتعريب ، لتقرير ما يتفاهم به جميع الأقطار ، فلا يكون كل من كتبهم قاموساً لذاته ومجمعا منفرداً .

« ثالثاً : أن يؤلف لجنة ثالثة ترجع الى عمال السكة الحديدية وباعة الأقمشة والماعون وأدوات الزينة والاستصباح والطب



والهندسة والصناعة والزراعة وسائر شؤون الحياة ومرافق المعيشة التي اتسعت دائرتها بيننا. فنتعرف مصطلحات كل جماعة ومهنة، ونأخذ منهم الاسماء التي عربوها وتواطأوا على استعمالها. فنتناولها ونهذب منها ما هو خليق بالتهذيب وندوّن في القاموس الذي يتحتّم تأليفه .

« رابعاً : أن يلخّص لنا المجمع القواعد في كتاب وافٍ على اختصاره ، على نحو ما يفعل الإفرنج ، بحيث يضمن للمتعلم الإمام بها ، فيعالج اللغة ويكتبها كتابة صحيحة في اقرب وقت ممكن » .

ولست اعرف مقالاً أجمع من مقالها هذا للمسؤوليات الموضوعية على عاتق المجمع العربي ، والتي لم ينفذ منها حتى الآن سوى التزوير اليسير .



ها في هذا الكتاب مقالات اخرى تبين حرصها على سلامة اللغة ورغبتها في توسيعها وتطويرها لتجاري العصر .

في مقالة عنوانها : « أجوبة الامتحان »<sup>(١)</sup> تعارض الذين يريدون إسقاط جميع الألفاظ الأجنبية الشائعة في التخاطب ،

---

(١) « بين الجزر والمد » م. س. ص ٦٩ .

فتدعو الى غريزة تلك الألفاظ وإسقاط ما يجب إسقاطه منها  
والاحتفاظ بالسائق السهل الذي تهضمه لغتنا. لأنه «لا يمكن حبس  
أي لغة ضمن سياج وهمي من محتويات المعاجم ومفردات اللغات  
وتقارير المجاميع العلمية .. فالمد والجزر في اللغة متعاقبان .  
والاكتساب على وفق حاجاتها سنّة جارية ، لا تجدي في تحويلها  
عريضة الساخطين » .

بهذه المناسبة ، تدافع عن كلمة « آبله » التركية ، المستعملة  
في مصر لمخاطبة المعلمة ، لأنها سائغة ، خفيفة ، ولا نجد كلمة  
عربية تفوقها مناسبة . لكنها ترفض استعمال « فاميليا » مكان  
« عائلة » و « طانت » بدلاً من « عمّة » أو « خالة » . وتؤثر  
لفظة « ماما » على « نينة » لأن الاولى أقرب الى لفظة « أم »  
و « أميمة » العربيتين .

وفي مقال عنوانه : « تكلموا لغتكم »<sup>(١)</sup> تهاجم ذوي الثقافة  
السطحية من المتفرنجين الذين يتخاطبون بلغة أجنبية ، بحجة ان  
لفظ العربية صعب عليهم فتقول واصفة واحداً منهم :

« وهو من الطراز الحديث المكرّر ثلاثاً . فتح فاه فتحة  
أنيقة تليق بالقرن العشرين وتكلم قائلاً : « نعم ولكن لفظ العربية  
صعب علينا . فهناك حروف خشنة مثل : « محاولاً إتقان

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٧ .

اللفظ « ال . عين وال . حاء وال . خاء . يا إلهي ! كل هذا  
يمزّق الخلق ، فضلاً عن ثقله على السمع » . . وطفق حضرتة يتكلم  
الفرنساوية جاعلاً الرء منها غيناً غنّاء . ثم تظهر مي تعجبها  
من أناس ولدوا في جرود لبنان أو في أنجاد سوريا أو في سهول  
مصر ، يجدون العربية « خشنة ، يا إلهي ، تمزّق الخلق » ويحسبون  
من يتكلمها في المجتمعات فلاّحاً . في حين أن مستشرقاً أجنبياً ،  
( الكونت دي جلارزا الاسباني ) يتقن لفظها ويحسن الإفصاح  
بها في موضوع فلسفي عويص .



ولها في النقد الفنّي عدة مقالات . منها نقد النشيد القومي  
المصري <sup>(١)</sup> وبحث عنوانه « في عالم الألحان » <sup>(٢)</sup> قارنت فيه بين  
الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية فقالت ان هذه تمتاز بكونها  
« علميّة » ، يحتاج فهمها وتذوّقها الى درس واطّلاع وانها تمثل  
في تأليفها وتوقيعها مأساة الجهاد والكفاح بين العواطف والذكاء .  
أما في الشرق فكل الموسيقى عذاب وشجو وأنين . هي صوت  
القلب وخلاصة التعبير الوجداني . يتجسم فيها دون غيرها معنى  
الامتنال اليأس والصبر المرير .

وترى أن واجب المعهد الموسيقي المصري ، الذي اوحى

.....

(١) « بين الجزر والمد » م . س . ص ٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٢ - ١٢٩ .

اليها بهذا المقال ، أن لا يكتفي بحفظ الموسيقى العربية ونشرها بل عليه أن يعنى كذلك بإصلاحها وحذف ما علق عليها من الشذوذ والإفراط في المراءفات والتطويل في الآهات وأن يبت فيها نسمة الانعاش .

والانعاش يأتي الى موسيقتنا من استيحاء الموسيقى الغربية التي بينها وبين الأولى قرابة . موسيقى الرومنطيين الزاخرة بالحنين . كذلك ، بتلك القرابة العاطفية ، نستوحي الموسيقى التركية والفارسية والأرمنية واليونانية الحديثة والبلغانية ، وبنوع خاص الهنغارية والروسية . ولكن يجب أن نعرف ان التطوير والتجديد لا يكونان بالنقل بل بالاستيحاء الذي يفتح أمام الدارس كنوزاً وراء المادة التي يدرسها . ويطل منها على آفاق لم تخطر له في بال .

في مقال آخر عنوانه « معرض الصور المصري »<sup>(١)</sup> ، تظهر مي في نقد التصوير حذقاً لا يقل عن مقدرتها في نقد الموسيقى .

تقسم مقالها هذا الى أربعة أقسام : الأول يهتد للثلاثة الباقية ، وفيه وصف موجز وترحيب حار بأول معرض صور أو لوحات يقام في مصر عام ١٩١٩ :

.....  
(١) « بين الجزر والمد » م. س. ص ١٣٠ - ١٤١ .

« لقد أضيف الى الأحاديث المزعجة التي ملأت اندية القاهرة في هذه الأيام موضوع لطيف لم تألفه اجتماعاتنا بعد، هو موضوع الفنون الجميلة » .

ثم تصف محتويات المعرض وصفاً عاماً وتنتقد اقتصارها على نتاج الهواة من الأجانب والأقباط . وتأسف لأن أكثر الرسوم منسوخة عن رسوم موضوعة ، فليس فيها ما ينقل الطبيعة مباشرة او يعبر عن فكرة شخصية ، لكنها تغتبط لأن نصف المعروضات تقريباً من صنع السيدات والأوانس .

القسم الثاني من المقال وضعته سنة ١٩٢٤ . تنتقد فيه المعرض المصري السادس للفنون الجميلة . فتبتهج لأنه أصبح ذا صبغة مصرية ولأن طائفة كبيرة من معروضاته من صنع المصريين . وتلوم اللجنة المنظمة التي عرضت اربع مئة لوحة وكان خيراً لو اكتفت بمئة مختارة .

وتصنّف المعروضات الرديئة . منها ما يُحتمل احتمالاً . ومنها السطحي الباهت كأنه نُقش بماء الورد . ومنها ما لا يُقبل إلا كأثر رُسم في الطفولة ، « يوم بدأنا ننسخ طاقات الورد والأواني الزرقاء والصفراء من دفتر كاترينا كلاين الالمانية » .

ثم تمتدح في القطع الجيدة « فن التلوين ، وجرأة الخطوط ، وإحكام الرسم ، وجلاء الاسلوب مع حذق التعبير عن خاطرة

جلية او تأثر غير مرتبك » . وترى ان العيوب تغتفر في لوحة  
ناطقة بمزاج فني واضح الحدود . وتقصد بالعيوب « ارتباك  
التأليف وعدم مراعاة التوازن في توزيع الألوان والأبعاد ،  
وكانها كانت مفتقرة الى توحيد الاسلوب على منهج واحد .  
ولكن فيها مجهوداً جميلاً واقتحاماً جديداً وسعيًا لشقّ سبيل  
غير مألوف » .

في القسم الثالث ، تتوسع في النقد وفي بسط العيوب التي  
يتعرض لها الفن حين يكون أصحابه في طور الحداثة .

وتذكر محاسن هذا التطور المفعم بالأمل والمغامرة ، الخالي  
من مرارة التجربة ومعاناة اليأس والفشل .

لكن سيئاته هي عدم التمييز بين أصحاب المواهب الأصيلة  
والمتطفلين الأدعياء .

« ان الرسم والتصوير والنحت ، كالشعر والموسيقى ، لا خير  
فيها إلا إذا عبّرت عن مزاج تام ، وكانت على جانب من الإتيقان .  
في حين ان لهفة من صوت ولو غير جميل ، تعني شيئاً ما وتدل على  
خاصة حيوية . وحسبها انها تنبع من التنفس الذي هو اصل  
الحياة ... أما التصوير والرسم والنحت والشعر والكتابة  
الادبية فلا بد ان يتساوى فيها حظا الصنعة والفن ، اي كيفية  
التعبير وكمية من شخصية يتسنى التعبير عنها ... وليس من

الضروري أن يتكاثر العدد كل سنة ولكن من المحتم ان يرتقي  
الفنانون وتصل مواهبهم وتجد آثارهم .

في القسم الاخير تقول ان من مزايا هذا المعرض انه يخلق  
جوا للفن ، ويبث في الجمهور رغبة في درسه وينشط معالجي  
الفن وهواته . وانه موضوع يرن عليه كتابنا مقدرتهم في النقد  
التصويري . وتضيف الى ذلك حديثا نقلته عن بودلير في فضائل  
النقد وصفات الناقد ومزايا النقد الفني . وتختتم بقولها :

« كان من دواعي الابتهاج أن تبدو مع النزعة الجديدة الى  
الحرية السياسية ، النزعة الى العمل الفني ، يحاذيها النقد الصادق  
الذكي . هو ثالوث سعيد ، بورك فيه . »

في هذا المقال ، تستوقفنا أقوال مي حول طبيعة الفن :  
« تعبير عن مزاج » أو موهبة . وحول اصوله : يجب ان تتساوى  
فيه الصنعة والفن او الأخذ والابتكار . وأهميته الحضارية : « لا  
شيء أقدر من الفن على تصفية النفس وترقية الميول » .

ونلاحظ أنها فيه ، كما في مقالها عن الموسيقى ، تعد رائدة ،  
تعالج موضوعاً جديداً وتأتي بمصطلحات جديدة . لأن نقد  
الفنون الجميلة لا يزال عندنا حتى اليوم في طور الحداثة .

أما الغرض الأكبر من مقالها فهو تشجيع إقامة المعارض

كشرط أساسي لتعزيز النهضة الفنية . وهو غيرتها على النهضة  
العربية بجميع مظاهرها، في التصوير او في الموسيقى او سواهما.  
وهذه الغيرة هي التي تحرك ميثاً في كل ما تكتب .

★ ★ ★





## محاولات قصصية ومسرحية

كان لمي من شاعرية الاسلوب ، ومن المقدرة التحليلية التي نلمسها في صكتابها « باحثة البادية » ، وفي الكثير من مقالاتها النقدية <sup>(١)</sup> ما يهيئها لكتابة القصة والمسرحية . لكنها لم تمارس أياً من هذين الفنين إلا في السنوات الاخيرة من عهدها الكتابي . فقد كتبت « المجرم القديم » ، حكاية تاريخية مقتبسة من الالمانية ، سنة ١٩٢٨ ، ومسرحية « على الصدر الشفيق » ، في ١٩٣٢ ، وأقاصيصها الثلاث : « الشمعة تحترق » ، « الحب في المدرسة » و « السرّ الموزّع » ، بين ١٩٣٣ و ١٩٣٥ .

في ذيل كتاب « المساواة » الذي نشر عام ١٩٢٤ ، محاورة جعلت عنوانها « يتناقشون » ، استخدمتها للتعليق على ما ورد في الكتاب ، ولكن بأسلوب حوارى يرفقه عن القارىء بما فيه

---

(١) راجع مثلاً تحليلها لمسرحيات الكاتب المسرحي الايطالي بيرندالو في « باقات من حداثتي مي » م. س. ص ٦٦٤ ، ولمدام دوسفينيه وعصرها ، وبيير لوتي وميجيل دي أوتا مونو ( المصدر نفسه ٥٧٨ - ٥٩٩ ) وقد نشرت بعض هذه المقالات في « الصحائف » .

من تنويع وتعارُض ، ونتبيّن ملامح الفن المسرحي في عناية  
الكاتبة بتحليل أشخاص المحاوره والمقارنة بين وجهات نظر  
مختلفة .

أبطال المحاوره هم « مي » سميّة الكاتبة وصاحبة كتاب  
« المساواة » الذي كان ظهوره سبباً في إثارة المناقشة . السيدة  
جليلة ، « المعلمة الفطنة المعتدلة الرأي » ، التي لا تشترك في  
الجدال إلا نادراً ويكاد يقتصر دورها على الإصغاء . ابنها عوني ،  
الشاب المتحمّس المفتون بالاشتراكية ، المؤمن بأن فيها خلاص  
البشرية . الاستاذ سامي العالم الفيلسوف المتشائم الذي يرى في  
البحث عن السعادة ضلال الانسانية الأكبر . سعيد بك الوجيه  
المتبجح برئاسته لإحدى الجمعيات الخيرية . زكي افندي المتأدّب  
الذي ينحصر دوره في الموافقة على كل ما يقال والتصفيق لكل  
خطاب . عارف « الاديب الذي عرف الناس وتألّم فأدّت به  
المعرفة الى شيء من الجلود لكنه يخفي وراء ذلك طبيعة حارّة  
صادقة خيرة » .

في هذه المجموعة الجادّة ، تُقحم مي فتاتين عصريتين :  
بلانش وأنطوانيت ، لا تتكلمان سوى الفرنسية ولا تفهman من  
الحوار الفلسفي الدائر حولها إلا كلمة « حب » الواردة عرضاً  
في كلام السيد عارف . ينحصر تعليقها على المناقشة بالتشاؤم ،  
وبذكر ما أوحته اليها في موضوع الزواج والفساتين .

فأنطوانيت تعلّق على تحمّس عوني للاشتراكية بقولها ، حين  
سألتها رفيقتها رأيها فيه :

— عوني ؟ هذا الذي يريد أن يوزّع ما عند الواحد على جميع  
الناس ؟ تأملي حالي اذا هجم يوماً على ثيابي وحلالي ليفرّقها على  
نساء لم يتعبن في ابتياعها ! تأملي حالي اذا تبرّع بثوبي الأزرق ،  
ثوب الرقص ! لا لا . هذا لا اريده !

ان ميّا تستغل في هذه المحاورة استغلالاً ممتعاً، مبدأ التضاد  
او التعارض بين الأشخاص ، وهو ركن من أركان الجمال . لكنها  
في الآن نفسه تدمج فيها انتقاداً اجتماعياً لاذعاً في شكل يقرب  
الى الكاريكاتور .

« على الصدر الشفيق » مسرحية ذات أربعة مشاهد . تبنيها  
مي على التحليل النفسي الذي أخذ يذيع في ذلك الحين ويلفت  
أنظار الناس الى العلاقة الوثيقة بين الجسم والنفس في إحداث  
الأمراض .

أبطالها ثلاثة : الدكتور راجي طبيب وعالم يجمع بين الجِدِّ  
والرقّة ، وتلميذاه ، أحمد صبحي وزكي ، شابان مختلفان اختلافاً  
كلياً في طباعهما . الاول كثير الافتتان بموضوع الامراض الخلقية  
والاعراض النفسية التي ليست في رأيه ، او رأي بعض العلماء ،  
إلا نتيجة خلل في الأعصاب أي في الجسم . وهو شديد التعلق

بأُمه ، يقف أمامها كطفل مستعد لتنفيذ جميع رغباتها . أما زكي فشاب مبتلى بداء الشك وسوء الظن ، يسخر من المثاليين الذين يجعلون من الأم مخلوقاً ملائكياً ويزعمون أن قلبها معدن الحب والعذوبة والتضحية التي لا تطلب أجراً . وإذا استفسر الدكتور راجي عن سبب هذا التشاؤم ، يروي له زكي قصة واقعية عن فتاة انتحرت لخلاف بينها وبين أُمها التي لم تكن لها إلا عدوة تغتبط بتعذيبها وتتمنى موتها . ثم يخبر استاذة أن أُمه من صنف تلك الأم فهي لا تعرف الحنو ولا تشعر بوجود ابنها ، بل ربما فضّلت كلبها عليه . وهو لأجلها أصبح يكره جنس النساء ويقشعرُ بدنه من فكرة الزواج خوفاً من أن يأتي الى الوجود بأولاد يتعذبون كما يتعذب .

أمام هذا الاعتراف المؤلم تتحرك في الطبيب عاطفته الإنسانية ، وينبهي لتجدة تلميذه : يحدثه عن أُمه الفقيدة التي لم ير منها في حياتها إلا الحب والعطاء . وما زالت له بعد وفاتها مصدر خير وعزاء . إذا ساورته الهموم لجأ الى ضريحها ، يناجيها ويستمدُّ منها وحيّاً وأملاً . وهكذا ، بما يبدية الدكتور نحو تلميذه من ضروب التعاطف والرفق ، وبما يقدمه من خبرة واقعية ، يستدرجه بطريقة الايحاء (Suggestion) الى التسليم برأيه والخضوع لتأثيره . يُقنعه بالذهاب معه لزيارة ضريح أُمه ، التي يأمل من زكي أن يتخذها أُمّاً ، ويجد في ذكرها وحبّها ما يجده هو من قوة وتعزية .

— «إني أقاسمك بكل إخلاص هذا القبر الذي يضم خلاصة ما أحب في العالم . هذه المرأة الميتة أمك كما هي أمي . ستحبك بمثل حبها لي وتوحي إليك بالنبل والصلاح والاستقامة » .

حينئذ يجثو الشاب عند الضريح فيقبل حجارتَه و ينادي الأم الراقدة فيه باكياً ، خاشعاً ، مستغفراً . وينهض ليرافق الدكتور الى حيث يشتري نباتات معرّشة ورياحين يظلل بها قبر المرأة التي صارت أمه كما هي أم أستاذه .

في هذه المسرحية تستغلّ ميّ نظريات سيكولوجية عن حاجة الانسان الى قلب يحنو عليه لتدحض بها نظريات أخرى تعارضها . وتعبّر عن تفهّمها للنفس البشرية في أحوالها المتناقضة وشدوذهما .

صباحي وزكي شابّان في ريثق العمر ، في سن الخامس والأربع والاندفاع المتهوّر . الأول يخضع لأمه خضوعاً شبيهاً بالعبودية والثاني يكرها لأنانيتها . والدكتور الذي حذّكه التجربة ، يقف بينها موقف الفاحص الخبير والمرشد الحكيم ، محاولاً تعديل هوسها وشدوذهما . إنه يشبه الاستاذ عارف في محاوره « يتناقشون » او يمثّل ميّا نفسها في اعتدال رأيها واقتزان موقفها . ينتقد انجرف صباحي وراء النظريات والأبحاث السيكولوجية التي لا تزال مبهمّة او « أسراراً في أسرار » ، ويهدّئ من غضب زكي ونقمته ، ويلومه لأنه لا يري لي

الأممات جميعا إلا مخلوقات أنانيات نظير أمه التي ربما أراه  
الخيال المحموم عيوبها مضخمة .

قد يكون في نهاية المسرحية ، وفي ارتداد زكي ، مقدار  
من التخيل واللاواقعية . لكن الاشخاص يمثلون في مواقفهم  
نماذج واقعية . أما من الناحية الفنية ، فالمسرحية ذات موضوع  
طريف وعقدتها تنتهي بحلٍّ مريح . في مشاهدتها حركة وتنويع ،  
والمنظر الأخير ، رغم انه يجري في مدفن ، يستمد من جلال  
الصمت وطرافة الحلّ ما يوحى بالراحة والانفراج اللذين نجدهما  
في ختام المأساة اليونانية .



أقاصيص مي تعتمد كذلك على الاسلوب التحليلي الذي يميّز  
محاولاتها المسرحية .

« الحب في المدرسة » يعرض نفسية طفلة تتبرعم عندها  
عاطفة الحب وتتركز في تعلّقها الشديد بفتاة أكبر منها سنّاً ،  
تبلغ السابعة عشرة وتدعى ألفيرا . هي « الأم » التي وكلت  
إليها الراهبات العناية بالفتيات الصغيرات في المدرسة . لكن  
شجيرة ، وهو اسم الفتاة الصغيرة ، تغار من ابن عم ألفيرا ،  
طالب الطب الذي يزورها ويكتب إليها الرسائل ، وترى فيه  
الشیطان الذي يعتذّبها . وحين تأتي ألفيرا لتودّعها قبل ذهابها

الى البيت لتعود والدها المريض ، تمتنع شجيّة عن تقبيلها بحجّة أنها تخشى إغضاب الراهبة التي تراقبها بعين جامدة .

لكن ، بعد ذهاب ألفيرا ، تكتب إليها رسالة تشير فيها الى سبب غضبها وامتناعها عن تقبيلها ، وتختتم الرسالة بقولها مهدّدة : « لا يمكن ان تحبّي الاثنين معا ، فإما أنا وإما هو ! » وتخرج من المدرسة حين أخذ الظلام يرخي سدوله ، حاملة الرسالة لايداعها صندوق البريد . لكن الصندوق كان عالياً لا يمكنها الوصول اليه ! وإذا بها ترى شاباً مقبلاً نحوها فتتقدم منه قائلة :  
— أرجوك يا سيدي أن تضع هذا الخطاب في هذا الصندوق .

— بكل سرور ! بونسوار مدموازيل شجيّة !

« ويلاه ! هذا طالب الطب بعينه ! هذا شيطان الشياطين ! » .

وعادت الى مدرستها مهرولة لا تلوّى على شيء ...

في هذه الاقصوصة المرححة ، تصوير مؤثّر لنفسية البطلة شجيّة ، الطفلة ذات السنوات العشر ، تضيئي عليه مي سحراً من جمال الوصف والحوار . تنهي حكايتها بنكتة طريفة . ونرى أسلوبها شبيهاً بأسلوب المذكّرات النابض بالحياة . ولقد كان في وسع مي أن تعطى عنواناً أطرف من « الحب في المدرسة » . مثلاً : « غيرة » او « هموم طفلة » او « نفوس عذبة » . أعني



نفوس أبطالها الثلاثة : شجيّة وألفيرا وابن عمّها « شيطان الشياطين » .

« الشمعة تحترق » قصة عاطفية تعتمد كالسابقة على اختبارات الحداثة وذكريات الدير . إنها قصة الراهبة الفتية التي أحست بميل خفي يشدّها الى الضابط الشاب الجريح الذي وكل إليها أمر العناية به في المستشفى . وقد بدرت منه إشارات تدل على امتنان نحوها يمازجه إعجاب وحب صريح . تنظر الراهبة الى يدها التي لامستها يده بقوة وشغف حين قدّمت له فنجان حليب ، فيخيل إليها أنها تحمل من يده شرارة نار . وحين تركع للصلاة في الكنيسة ، تستغفر الله خاشعة على الاثم الذي ارتكبته ، لأنها أحست رعشة السرور بلامسة يده ليدها ، وبحلاوة لم تجد مثلها في حب الله وعبادته . تصلّي بحرارة الى الله أن يشمل بعنايته الضابط وخطيبته التي ذهب لمقابلتها . وترفض الذهاب اليه حين طلب أن يراها ليشكرها ويلقي عليها كلمة الوداع ...

ان ميا في هذه الأقصوصة تعبّر عن تعاطفها مع الراهبة التي عاشت زميلات لها في مدرسة الدير . ولعلها تكبير كفاحها الشاق ، ومجاهدتها الصوفية لبلوغ المثل الأعلى الذي نذرت له نفسها .



« السر الموزع » أقصوصة تركز على التعارض أو المقارنة بين فتاة متوثبة الخيال ، قليلة الخبرة بأحوال الناس وأسرار القلوب ، وشاب موزع القلب ، لا يدرك من الحب إلا متعة التنقل من فتاة الى أخرى . هو الدون جوان ، كما عرفه فاروق سعد في « باقات من حدائق مي » <sup>(١)</sup> والفتاة تختبر الحب لأول مرة من نظرة يرسلها إليها هذا الشاب الخبير بإغواء النساء .

تجيد مي وصف حال الفتاة التي نفذ الحب الى قلبها في لحظة نظر كانت طويلة ، مليئة كالدهور . « الوجود كله يتلخص في ذلك النظر وفي السر الذي يحتويه . على صفحة الماء المائجة نظر مليء بالسر . في الفضاء حولها نظر مليء بالسر . في الأبعاد المترامية ، في ألوان الشفق ، في هبوب النسيم ، وبخاصة في صميم كيانها نظر مليء بالسر ، يهمس : أردتُ أن أنبئك ... أله مثل هذا النظر مع جميع النساء؟ ... دنت من مرآتها فرسمت لها المرأة وجهه لا وجهها ، وأقبل النظر يتسرب إليها مع سره ... في تلك الدقيقة كان الفتى بين أصحابه عند « جروبي » وقد رفع كأس الوسكي الى شفثيه ناظراً بعينين ناعستين الى الغادة الجالسة أمامه في ثوب عاجي وقائلاً ببطء : أشرب سرّك .

كانت هذه آخر أقصوصة كتبها مي ونشرتها في « الرسالة » في مارس ١٩٣٥ . ونلاحظ فيها تطوراً محموداً عن سابقاتها من

.....  
(١) ص ٢٩٥ م . ص .

حيث الفن القصصي . فيها تركيز وتعارض وتحويل دقيق لنفسية الفتاة ومقدار من الإيهام والإيجاء الذي يثير التساؤل حول معنى كلمة « السر » المرددة . ماذا تعني للفتاة ؟ وماذا تعني للفتى الذي يقول : « أشرب سرك » . وقد بدأتها بداية درامية ، بوصف الشاب الخارج من الحفلة ، يبحث عن الفتاة التي استطاع نظره أن يأسر فؤادها . وإذا به يلتقي صديقاً له يحول بينه وبين لقاءها . وتنتقل مي إلى الفتيات الخمس اللواتي كانت طريدة الفتى الأنيق ، صاحبة « الثوب ذي الزرقة الكهربائية » واحدة منهن ، وقد حملتهن السيارة إلى منازلهن واحدة بعد أخرى . أما صاحبة الثوب الأزرق فكانت غارقة في أحلامها ، شاردة النظر عما يجري حولها ، وبطريقة الاسترجاع ، ( الفلاشباك ) ، تتصور الظرف الذي أدت إلى لقاء نظرها بنظره وتبني على هذا اللقاء قصوراً وعلالي ، في حين كان الفتى مشغولاً عنها بأخرى .

في أسلوب مي القصصي نفس شعري ورشاقة تعبير يألفان مع موضوعاتها العاطفية والبيئات المثقفة التي تجري فيها حوادث القصص . والذي ينعم النظر في محاولات مي المسرحية والقصصية لا يسعه إلا أن يبدي أسفه لأن مي لم تمارس هذا اللون الأدبي إلا في السنوات الأخيرة من حياتها الأدبية .

## خواتمها الحميمية

إن الاتجاه التأملي - وأعني به النظرة العميقة الى الأشياء ،  
والتساؤل عن معانيها وأسرارها ، ومحاولة النفوذ الى ما وراء  
الظاهر ، أو مجاوزة الواقع والمألوف - يبدو واضحاً في كتابات  
مي الاولى ، في مذكراتها وأشعارها . ولعلها ورثته عن  
الرومنطيقين الذين أدمنت مطالعهم في مدرسة الدير . في  
هذه المحاولات ، لا تكتفي مي بوصف مفاتن الطبيعة ، بل تصف  
كذلك انعكاساتها في نفسها ، وتلقي عليها ظلالاً من عواطفها  
وتصوراتها . في الغابات تسمع همس الآلهة مرنّمة بجانب  
الينبوع ، وحفيف أجنحة الارواح مرفرفة حولها . تتخيّل  
الأمطار عبرات يسكبها سكان الكواكب المتألّثة في الرقيع ،  
وأشجار السنديان الشاحخة تبسم حانية على الأزهار الصغيرة  
البريّة فتسمح لها بالنمو في ظلالها .

إذا نظرت الى الجبال ، جسّدت فيها ذاتها فبدت لها حاملة  
مثلها ، « تحلم بالزرقة البعيدة ، وبأعماق الأنوار الغامضة ، وبخفايا  
القبور المبهمة » .

وإذا نظرت الى أوراق الخريف المتهاوية ، خيّل لها أنها  
سُئمت أسر الالتصاق بالشجرة التي أنالتها الحياة ، وحرّكتها  
الشوق الى الحرية والانعتاق ، فأخذت تترنّح في الهواء مغتبطة  
بحريتها . ولكن سرعان ما هبطت الى الأرض حيث داستها  
الأقدام وحيث ينتظرها التحلّل والاضمحلال ، فكانت الحبة  
جزاء سعيها والموت ثمن حرّيتها .

هذا الاتجاه التأملي هو الذي حدا بها الى بحث موضوع  
« المساواة » في كتاب . وفي خطبة « الإخاء » ، الى المقارنة بين  
أهرام مصر التي بنيت بدموع العبيد البائسين ، وصروح البرّ  
والإحسان التي ارتفعت لإيواء المشرّدين واحتضان اليتامى  
والمحرّومين . وهذا الاتجاه عينه هو الذي يسيطر على مجموعتها  
الفريدة : « ظلمات وأشعة » حيث تطلق العنان لحواطرها  
المتأفيزيقية ، وتجاذبها موضوعات فلسفية عصيّة ، كالزمن والألم  
والسعادة والظلم والحرية والموت والشوق الى المجهول .

« ظلمات وأشعة » يضم مقالات ذات نفس شعري ، خطابي  
أو قصصي ، تتخذ أحياناً شكل المناجاة . تقسمه الى ثلاثة أقسام ،  
تصدّرها بمقدمات ثلاث متسلسلة ، عنوان الاولى : « من كوّنة  
الحياة » ، الثانية : « نحو مرقص الحياة » ، والثالثة : « في  
مرقص الحياة » . وتشرح هذه العناوين في فقرات قصيرة تقول  
في الاولى انها وقفت عند كوّنة الحياة حائرة ، لا تدري لماذا

تقف ، ومن ذا الذي أوقفها هناك . وحين عذبتُها الحيرة ، وظننت أنها بلغت قرارة اليأس ، أوحى إليها بأن هناك وجوداً غير ملموس يسمّى « السعادة » فشعرت باحتياج عميق الى التعرف إليها والتمتع بها ، وفهمت انه لا شيء أقسى على النفوس ، في انفرادها وسكوتها وعجزها ، من تلقّي ذلك الوحي العنيف وشورها بذلك الاحتياج العميق .

في المقدمة الثانية ، نراها تُغذّي السير ، يجرّكها ذلك الشوق الجامح الى السعادة . تندمج في خضم البشرية وتشاطرُها سعيها الدائب نحو المرقص الكبير . فيتناولها حيناً دوار الاختلاط ، إلا أن الشخصية العامة لا تستولي عليها ولا تفرق في دوّامتها شخصيتها . وتفهم حينذاك انه « حيث تكون العاطفة مرهفة فهناك النزاع الألم والاستشهاد . وإذا رافقتها الأنفة وشرف السكوت على مضض الحروق ، فهناك مأساة الصلب تتجدد مع الأيام » .

رغم هذه التجربة المؤلمة ، نراها في المقدمة الثالثة ، « في مرقص الحياة » ، تواصل انجرافها في التيار المكتسح الملايين . تتغلغل شيئاً فشيئاً في الميدان الذي تقيم فيه الحياة مرقصها . فيتراءى لها أن هناك خليطاً من صراخ الصرعى وعويل الهلكى ، من تهليل الفرحين وابتهاال الأتقياء والمصلّين . من زفير الحفيظة والشهامة وحمد القناعة والشكر . فتدّهب سمعها وتصغي الى

ألوف الأصوات التي يتألف منها نشيد الحياة الرائع ...

لكن الاختبار والمعاناة لا يزيدانها إلا اعتقاداً بأن الحياة ما هي إلا سجن كبير ، والشوق الى السعادة وهم لا يؤدي الى حقيقة . فعند كل خطوة خيبة وكمد ، وعند كل خطوة أمل وجذل واستفهام لا جواب له .

إذا نحن راجعنا المقالات المدرجة تحت كل قسم من الأقسام الثلاثة ، قد يبدو لنا أنها لا ترتبط بالفكرة الأساسية التي تعلنها المقدمات ، لأن موضوعاتها متنوعة ، متفرقة . لكن النظرة العميقة تبين أن أكثرها يحمل في تضاعيفه سؤالاً عن معنى الحياة وغايتها ويعبر عن رغبة حارّة في الفوص الى جوهر الأشياء وبواطنها .

في المقالة الاولى ، « أنا والطفل » ، يسوقها الحديث مع البطل الصغير الى التأمل في مستقبله وما ينتظره من متاعب ومشاق . في مناجاة « نهر الصفا » يلحّ عليها السؤال عن مصدر الحياة ومصيرها : « من أين وإلى أين ؟ » ، ويعاودها السؤال عينه في « دمة على المفرد الصامت » ، وفي المقال الاخير : « عند قدمي أبي الهول » .

« الساعة المفقودة » توحى إليها بأفكار فلسفية ، كونية . والحلية الصغيرة تصبح عندها صورة مصغرة للكون . مساحتها

رمز للفضاء . دورتها مسرح اللانهاية . علاماتها مقاطع الوقت  
الذي رتبّه الإنسان . دقائقها خوف من هجوم الرزايا وترقّب  
لوفود الآمال . ثوانها دقات القلب ، ومن الثواني يتألف الزمان  
ومن نبضات القلب تُنسج الحياة .

في مناجاتها للباخرة « لوزيتانيا » تتساءل عن مصيرها في  
قعر البحار . وتسألها : أصبح أنك مندحرة يا قاهرة العناصر؟  
وأن الأمواج التي طالمسا أخضعتها قد ابتلعتك وسافتك الى  
هوة العدم ؟

وفي مقال « العيون » تحاول اكتناه أسرار العيون . وكأنها  
تبتسى موقف الرومنطيقين الذين رأوا فيها منفذ النفس البشرية  
ومجتمع قواها وسحرها حتى زعم أحد شعرائهم : سولي برودوم ،  
أن العيون لا تموت .

« أياكون الظلم من شيم النفوس ؟ » هذا السؤال تثيره حكاية  
« الحكيم وطالب الحكمة » ، كما أنها تثير سؤالاً آخر : هل أن  
معاناة الشقاء ضريبة يتحمّلها ذوو النفوس الكبيرة ؟

كذلك في « ليلة عيد النصر » حيث يموج على الآفاق لألاء  
الأعياد وتتدافع الجماهير منتشية بحمى الطرب ، تُبدي الكاتبة  
ألمها من أن ترى الحزن يتجاور مع الفرح ، وتتعالى وسط الهتاف  
المنسجم نغمة شاذّة . هي صورة امرأة عجوز تتوسّل وتنتحب



أمام الذين يطردونها من غرفتها الصغيرة القائمة في طرف السطح ،  
لأنها منذ خمسة شهور لم تؤدِّ بدل الإيجار .

يستوقفنا مقال « السهرات الراقصات » بما فيه من ظرف  
ودعابة ، تنطوي فيها سُخْرِيَّتُها من زيف المجتمع ومن تفاهة  
الحفلات الراقصة : « رقصتُ مع كل راقص ذي كياسة .  
واحتسيتُ الكوثر من كؤوس عسجدية . وبسمتُ شفتاي  
لكل عين لامعة . ولما طاف طائف الكرى بين أجناني عدت  
مستوفية السرور الى مضجعي ونمت نومة طويلة ، عميقة .  
واستيقظت في الغد ، فأذهلني أن أشعر بترضوض في روحي ،  
وبطعم الفناء في فمي ، وبأثقال تسمع على صفحة وجداني كأنها  
أحمال الدماء » .

مقال « الموضوع التائه » يشرح لنا بأسلوب طريف ، سقم  
المجادلات والمناقشات التي تجري في الأندية والمجتمعات .

أما مقال « أين وطني ؟ » فأرى فيه زفرة حارة تطلقها مي  
لدى تفكيرها في وطنها المجهول ، الضائع بين الأوطان .

ويلوح لها في مقال « كن سعيداً » ان السعادة في متناول  
كل فرد . ويومض في رأسها التفاؤل بأن من أوتي نعمة الرضى  
والاطمئنان النفسي يجد السعادة في كل شيء . لكن هذا الرأي  
قد حُضِه مقالاتها الأخرى .

وفي « يوم الموتى » ترى الإنسان عبد القدر ، عبد الناموس  
الفرد الذي يستخرج الجديد من القديم ويدغم القديم في الجديد .  
« نحن في الدنيا مقيمون قبل الحياة والموت . والجحيم والفردوس  
في نفوسنا يتناوبان . تغزونا الحياة في الاندحار وفي الانتصار ،  
فنحن أبطالها ونحن ضحاياها ، سواء أشتنا أم أبينا » .



في هذه المجموعة ثلاث مقالات تشوبها مسحة من الغموض ،  
وتعتبر عن استرسال الكاتبة في الحلم وغوصها في دنيا التأمل  
والانطواء .

في المقالة الاولى : « الذكرى الجديدة » ترد عبارة « الروح  
الكلية » ، وهي من عبارات الصوفيين الذين أرادوا بها روح الله  
الموزعة في الكون ، المتغلغلة في كل ذرة من ذراته . وتتضمن  
حديث مي عن ذكرى جديدة « تربعت على عرش معبد الذاكرة  
القائم في أعماق روحها » وسيطر تأثيرها على جميع أعمالها .  
أصبحت القوة الموجهة لجميع خطاها ، والمصدر الحافز لإقدامها  
أو تباطؤها . الدافع لحماسها في الدفاع ولثوراتها وتخيلاتها  
المؤنسة ، ولحبها الذي يحتوي العالم .

ما هي هذه الذكرى التي تبالغ مي في وصف تأثيرها ؟

يأتي الجواب في الفقرة التي تقول إن ذكراها تلك سيكون  
نصيبها الحياة والتماusk بعد موتها ، حين تحل الذراري الجديديات

محل الذراري القديمات ، « فتجلس فتاة في صباح خريف شجي .  
كهذا الصباح ، على مقربة من نافذتها وراء الأستار المخرمة ،  
وترسل نظرها الى الأفق الدابل ، يتفتنّها سحر الطبيعة ، ساكباً  
أنوار الفجر في نقي السحاب . وتسال نفسها : « أين السعادة ؟ »  
فتملكها رغبة فجائية في ركوب تلك السحابة ذات الشكل  
الطودي ، واثقة من أن السعادة كلها في اعتلاء متن النور  
والهواء !

« فتاة المستقبل سترجع بعد حين ، وتضحك من رغبتها  
قائلة : إن هذا لجنون . »

بهذا توضح لنا مي أن الذكرى ، أو الفكرة ، التي عاشت  
بعدها في رأس فتاة أخرى ، هي فكرة البحث عن السعادة ،  
التي عليها يدور معظم مواد الكتاب .

وبذلك تؤكد مي أن الطبيعة البشرية لا تتبدل وإن تبدلت  
الأشكال . وأن البحث المجنون عن السعادة وعن غاية الحياة  
سيظل هدف الناس الأكبر على مدى الأجيال . وبرغم عقم  
السعي وخيبة الأمل ، سيظل التساؤل والاستقصاء رائد حياتهم  
وموجّه أحلامهم وحافز نشاطهم الذي لا يقف إلا بوقوف  
دولاب العمر .

فكأنني بها تستبق رأي سارتر : السعي عبث ولكن لا بد  
من السعي .

في المقال الثاني من المقالات الثلاث ، وعنوانه : « أياها الغريب » ، تتخيل مي شخصاً صنعته من أحلامها ودعته الغريب . شخصاً جمع السجايا والفضائل التي تحلم بها وتتوق إليها . لكن هذا الشخص لا وجود له في الواقع .

إنه إنسان يفهمها وتفهمه . يلاحظ أعمالها ويتتبع خطاها . تشق به كثقتها بنفسها وتفزع إليه في أوقات الحزن والفشل فتبثه شكواها ، تحذثه عن خفايا نفسها ، عن حاجاتها المستترة ، وعن ضعفها المقنّع بقناع القوة والصلابة .

هذا الإنسان الذي تصبو مي الى وجوده هو الذي تستطيع ان تتخذه أباً وأخاً وصديقاً وقريباً وعشيراً . لأنها تفتقر الى كل هؤلاء .

هو الذي تعترف أمامه بهفواتها وتؤدي له حساباً عن أعمالها . تقبل نصحه وإرشاده . تعوده بالتوبة وتلتبس منه الغفران . وهو يدرك حقيقة نفسها كما تدرك حقيقة نفسه ، فلا هو يصدّق المتحاملين عليها ولا هي تصغي الى وشاية منافسيه .

انه ذاتها الثانية . بطل الأحلام الذي تلازمها صورته وتتعبّد له في باطنها . تتوق الى خدمته ومواساته وتستمد منه عزماً وروحياً . لكنه مجهول لديها كما هي مجهولة لديه .

كذلك في المقال التالي الذي عنوانه « عند منعطف السبيل » ، تخاطب مي شخصاً خيالياً مدّ إليها يد الإنقاذ حين فكّرت

في الانتحار . أثار طريقها وسط الظلمات ، علمها حب الوجود ،  
واكتشف فيها جديد العوالم .

هو إنسان نشأ بينها وبينه تعاطف خفي . حب صامت  
مكتوم . دلت عليه النظرات والحركات .

ثم تتساءل الكاتبة : من هو هذا الإنسان ؟

أَوْحِيَّ من شاعريتها ؟ طيف من أطياف شوقها وعذابها ؟  
أم حقيقة محسوسة مرّت في أفق حياتها مرور السفن في البحر ؟  
إنه كل هذا . إنه رمز أشواقها الدفينة . كما أن « الغريب »  
الذي عبّزت عن استنطاقه وإدراك معنّى سكوته في « السهرات  
الراقصات » ، هو كذلك تجسيد لأمانيتها الضائعة وأشواقها  
المستحيلة .



كتاب « ظلمات وأشعة » ، بالرغم مما يتكرر فيه من صور  
الحيرة والألم والتساؤل اللابجدي ، يحتل مكانة خاصة بين مؤلفات  
مي ويتمتع بشعبية ثابتة . لأن في أسلوب مقالاته تنويعاً وطرافة  
يقفان حائلاً دون رقابة الجوّ ويمسحان عنه صفة الإملال . وفيه  
من الشاعرية الصافية وموسيقية العبارة ما يستهوي القارئ في  
كل بيئة وزمان .

إنه كتاب نثر شعري ، لا ينصفه العرض السريع ، ولا بد  
لتذوّقه من قراءته كاملاً وبإمعان .

# أسلوب مي

لو أردنا اليوم تقييم أبحاث مي وخطبها الاجتماعية من حيث المضمون ، لقلنا انها في معظمها أبحاث موجزة وتعميمات غير مفصلة . وإن كثيراً من الآراء والنظريات الواردة فيها ، إلا بضع لمحات وخواطر مستقبلية ، قد تخطاها الزمن وتضاءلت قيمتها أمام هجوم الطريقة العلمية التي استنبطها علماء الاجتماع ، طريقة التجربة الواقعية المعتمدة على الاستجواب والتصنيف والإحصاء والاستنتاج ، المعبر عنها بالأرقام والخرائط والخطوط البيانية . إلا ان كتابات مي الاجتماعية تحتفظ بقيمتها من ناحية جمال الأسلوب وصحة التنسيق والتعبير ، وما يتخلل أبحاثها من ملاحظات دقيقة تدخل أحياناً في نطاق الحكم والكلام المأثور (١) .

أما أشعارها والمقالات التي تتضمن خواطرها الحميمة

---

(١) جمع قسماً كبيراً من أقوالها المأثورة جميل جبر في « مي زياده في مذكراتها » م . س .

ومذكراتها وقصصها فهذه تجمع بين طرافة الأسلوب وتوقّد  
العاطفة والخيال وهي من الأدب الذي يعيش ولا يذهب بقيمته  
مرور الزمن .

نبغت مي في عصر النيو كلاسيكية . أي في عصر جرى فيه  
بعث الأسلوب العربي الأصيل ، وروعي فيه مقدار من التجدد  
البعيد عن التطرّف والتسكّث ، وكان حرص النقاد آنذاك على  
سلامة اللغة وأصالتها حرصاً شديداً جعلهم ينتقدون تجديد شوقي  
ويحاسبونه على هفوات لا نحسب لها اليوم حساباً . فلم يكن في  
وسعهم أن يتساهلوا مع حملة الأقلام وأن يقبلوا في صفوفهم  
المتطفلين ، لا سيما إذا كان المتطفل امرأة .

إن كبار الأدباء في مصر أجمعوا على الإعجاب بأسلوب مي  
واستحسان ما فيه من تجديد . منهم العقاد الذي يقول في نقده  
لكتابتها « الصحائف » إنها « كاتبة مطبوعة »<sup>(١)</sup> ويعقوب  
صروف الذي كان يتتبع جهودها ويرعاها في أول عهدها  
بالكتابة ، فيمدّها بالملاحظات ويقول لها مداعباً إنها تفكّر  
بالفرنجية حين تكتب بالعربية ، لكنه في مقدّمة « باحثة البادية »  
يثني على الكتاب بقوله : « إنها جارت أكتب الكتاب  
الأوروبيين في هذا النوع من البحث والانتقاد ... وإذا كانت

(١) « مطالعات في الكتب والحياة » مصر ١٩٢٤ . ص ٢١١-٢١٢ .

بعض استعاراتها مقتبساً من لغات اوروبية فذلك ليس بدعاً في العربية . بل قد سبق إليه جماعة من أساطين الكتاب مثل الجاحظ والصابي وابن المقفع وابن خلدون فزادوا في غنى العربية بما أضافوا إليها « (١) » .

ويقول منصور فهمي في مقابلة أجراها معه محمد عبد الغني حسن : « إنني أعدّ الطريقة التي جرت عليها مي في كتابتها مثلاً للكتابة الراقية » . ويضيف : « كان لهذا الأسلوب المتميز ، المختارة ألفاظه ، المنمقة عباراته ، جرس جميل في أذن السامع ووقع حسن في نفس القارئ ، وكثيراً ما كانت توفّق مي في هذا السبيل » (٢) .

إن ميّاً ، كما قال فيها العقاد ، « كاتبة مطبوعة » ، جادة في ما تكتب ، علمياً كان أم أدبياً .

في أبحاثها العلمية ، في « المساواة » مثلاً ، نلاحظ أن حرصها على جمال العبارة واختيار الكلمة المناسبة وابتكار اللفظة الجديدة لا يختلف عنه في مقالاتها الفنية الوجدانية .

ومثله حرصها على تنويع الأسلوب رغبة في حفز نشاط القارئ . فبينما هي في مجال كلام إثباتي تقريرى ، إذا هي تنتقل

---

(١) مقدمة « باحثه البادية » ، م . س .

(٢) « مي أدبية الشرق والعروبة » م . س . ص ٢١٧ .



إلى الهمّات والحطاب والعبارة البيانية ، فتقول :

« الأرستوقراطية ضرورية لمنفعة الأمة . آه . إني اسمع  
زئيركم يا دعاة المساواة ! وأرى ازوراركم أيها الأساتذة  
الديمقراطيون ! » (١) .

أو تأتي بنكتة ترفيفية . أو تنتقل من الحديث عن غائب الى  
مناجاته : « كروبتكن ! كروبتكن ! أنت الذي كنت من أهل  
الوحي والرؤيا قبل أن تصير ملك المؤامرات السياسية وتناسيت  
مرتبتك لتمتزج بالشعب ... أنت الذي عرفت أبتهة بلاط  
القيصرة .. » (٢) .

في خلال عرضها وإيضاحها لبعض النظريات بطريقة المنطق  
والبرهان ، نراها تقحم الوصف والمعارضة والتعداد فيصبح  
أسلوبها فنياً وعلمياً في آن واحد :

« من عجائب الطبيعة وضعها النقيض يجوار النقيض : تجعل  
الأكمة الجرداء قرب البحر الزاخر ، وخضرة الخمائل وخصب  
النواحات وراء رمال الصحاري وقحط القفار . حيال الذروة  
الأرستوقراطية يزينها تاج الملكية ، تحفر البطاح لسيل العبودية  
الجرفاء ، حيث تتزيّف السجايا وتتلأشى المكرمات . ما أقامت

---

(١) « المساواة » م . س . ص ٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٧ .

ارتفاعاً إلا أوسعت تخومه تجويفاً ، وما جادت بنابه إلا بلت  
بمعتوه ، ولا سلّمت بوليد إلا ودّعت بصريع ،<sup>(١)</sup> .

إن أسلوبها البحثي يميل الى الأناقة من غير أن يفقد صبغته  
العلمية وقوته التحليلية . يلتزم الدقة والموضوعية رغم كونه  
يشفّ عن نفسية الكاتبة ويبرز حرارة شعورها .

أما أسلوبها الفني في الأشعار والنثر الشعري والرسائل ففيه  
من الصفات المميّزة ما يستحق الدراسة على حدة .



في كل ما كتبه مي من شعر أو نثر فني وجداني ، أجد لذة  
خاصة في مطالعة مذكراتها : « يوميات عائدة » ، وأشعارها :  
« أزاهير حلم » . انها هناك الزهرة في أول تفتّحها . في عذوبتها  
ودهشتها أمام الوجود . انها الطائر الغريد في انطلاقه الحر  
وزقزقته العفوية . إلا أن من يطالع أدب مي في طور النضج  
يلاحظ فيه استمرار الكثير من تلك الميزات التي تحبّب إلينا  
أسلوبها في سن المراهقة : الرقة والأنوثة والرشاقة وعدم التكلف .  
يصدّق فيها قول العقاد : « علامة الكاتب المطبوع أن يكتب  
ما يوافق طبعه ، غير متوخّ فيه المحاكاة لغيره . وهذا هو شأن

---

(١) « المساواة » م. س. ص ٤١ .

الآنسة مي في جميع ما تكتب. إنها بنت جنسها البارّة بمواهبه ،  
وهي مثل صالح من أحسن أمثله ، وعنوان عالٍ من أصدق  
عناوينه « (١) » .

في « رحلات السندباد » ، من مقالاتها الذاتية الحرّة ، تبرز  
خواطرها المشرقة ، منطلقة على سجيّتها . تخشع أمام مناظر  
الغروب ، تثور لتقاتل الأمواج وهزيم الرعود . تفتح رثيها  
لعطور البرتقال . تبتهج لرفرفة الأوراق . تتهكم تهكّماً  
لطيفاً يجارها الألماني الذي يحتكر محادثتها طوال السهرة ولا  
ينحها مجال التنفّس . أو تنقلك من جو الاسترخاء والأحلام  
لتفاجئك بنكتة : « كنت أفكر مرّدة : سأظل كل هذا  
الاسبوع فريسة الأحلام ، الفريسة السعيدة . سأنسى كل هذه  
الأيام أني جسد . فإذا « بالجرسون » يدق ناقوسه دقّاً عنيفاً .  
مضى يدق في جميع الزوايا ، شأن من يستنهض امّة للحرب  
والنضال ، لا شأن من يدعو المسافر الى قاعة الطعام . وانقضّ  
على زاويتي ولم يكن فيها غيري . وظلّ يدق باستهتار . وأنا  
أصبح : « سمعت » ولكنه لم يسمع صياحي . ووضعت يدي  
بداهةً على سمعي ، ولكن « الجرسون » لم يرمني أكثر مما سمع .  
لأنه كان يقوم بدق ناقوسه وإتمام واجبه بإلحاح وتصميم . فلم يبق  
لي إلا أن أضحك قائلة : وهل يمكنني أن أنسى أني جسد وفي

---

(١) « مطالعات في الكتب والحياة » م . س . ص ٢١١ - ٢١٢ .

اهذا المركب المبارك جرس كهذا الجرس، يدقّه هذا «الجرسون»  
البطل ؟» .

رسائلها العادية شبيهة بمذكراتها في بروز شخصيتها وطرافة  
تفكيرها . نتحقق هذا بمراجعة رسائلها الى يعقوب صروف  
والريحاني وجبران وسلمى صايغ وسوام<sup>(١)</sup> . تقول لصديقتها  
جوليا طعمه دمشقيه صاحبة « المرأة الجديدة » ، واصفة نفسها  
في رسالة :

« أصبح أنك لم تهتدي الى صورتي ؟ فهاكها . استحضري  
فتاة سمراء كالبن ، أو كالتمر الهندي كما يقول الشعراء . أو كالمسك  
كما يقول متيّم العامرية . وضعي عليها طابعا سديميّا – فليسمح  
لي البلاغيون بهذا التعبير المتناقض – من وجد وشوق وذهول  
وجوع فكري لا يكتفي ، وعطش روحي لا يرتوي . يرافق  
أولئك جميعا استعداد كبير للطرب والسرور واستعداد أكبر  
للشجن والألم . وهذا هو الغالب دوماً . وأطلقني على هذا المجموع  
اسم « مي » ، تري من يساجلك الساعة قلما ! »<sup>(٢)</sup> .



- (١) راجع « رسائل مي » تقديم جميل جبر ، دار بيروت ١٩٥٤ .  
(٢) يقول أنطون الجميّل في رسائلها : « نوع جميل من أدب الرسائل في  
العالم العربي » ( « مي أدبية الشرق والعروبة » م. س. ص ١٣٢ ) .

عاجلت مي الشعر المنظوم في الفرنسية في «أزاهير حلم» .  
وكتبت في اللغتين العربية والفرنسية نثراً شعرياً من النوع الذي  
نجدّه في الشعر الفرنسي والانكليزي الحديث ، وهو أقرب الى  
نثر جبران الشعري منه الى الشعر المنثور الذي شقّ طريقه أمين  
الريحاني في «هتاف الأودية» .

الفرق بين الأسلوبين أن الأول يمتاز بتقطيع العبارات  
وتنويع حجوم الفقرات ، بين قصيرة لا تتجاوز الجملة الواحدة  
وطويلة تبلغ بضعة سطور ، الى جانب امتيازّه بالتصوير الشعري  
والإيقاع الموسيقي أو النغم .

أما الشعر المنثور فيتألف من سطور قصيرة تقوم مقام  
الفقرات ، وتقابل سطور الشعر من غير ارتباطها بوزن أو قافية .  
وهذا النوع أدنى الى ما يسمّونه في الانكليزية «شعر طليق» ،  
«blank verse» في حين أن النثر الفني أو الشعري ، الذي عاجلته  
مي ، يشبه ما يسمّونه «قصائد النثر» ، «poèmes en prose»  
prose poems»

في تحليلنا لأسلوبها هذا ، يحق لنا أن نستعين ببعض آرائها  
النقدية التي تلقي ضوءاً على مذهبها في الكتابة :

« كيف تنبض في الألفاظ المجرّدة الجامدة حياة سريعة ،  
متّقدة بثورة الشعور ، وهيجان الغضب ، وأنين الشكوى

ورنين النجاح والظفر ؟ لماذا تهتزّ الألفاظ تارة كالأوتار ، وتولول  
طوراً كأمواج البحر العجاج ، وتهمس حيناً همساً عجيباً ، كأنما  
هو منطلق من سحيق الذرات ومبهم الآمال القصوى ؟ (١) .

في هذا الوصف نتبين الأهمية التي تمنحها مي للألفاظ في  
قوتها على الإيحاء بالمعنى والتعبير عن الشعور . فهي في نظرها ،  
كما في نظر هوغو « كائنات حيّة » ، لها ما لهذه من قوى وميزات  
ظاهرة وخفية .

إلا أن اللفظة بعفدها لا قيمة لها إلا إذا احتلت مكانها  
المناسب من الجملة ، فكانت فخمة ، هدّارة في مقام يستدعي  
الفخامة ، رقيقة في مواضع الرقة ، متحرّكة وثّابة في موقف  
حركة وتوثّب ، حاملة في مواقف الحلم . وقد لمسنا في ما أوردناه  
حتى الآن من كتابات مي وخطبها . قدرتها الفائقة على حسن  
اختيار الألفاظ .

في مقالاتها الممتازة بأسلوب الشعري ، تستهويها الألفاظ  
الطويلة المقاطع ، وترغب في استعمال جمع المؤنث السالم :  
دنا موسم السهرات الراقصات ( بدل الراقصة )  
وإذا وصلنا الى سلسلة الأطواد المتساندات ...  
وتفتت أجزاءها متفرّقة في المدى الشاسعات

---

(١) « باحثه البادية » ، م. م. ص. ص ٧٩ .

في موقف عاطفي ، تختار اللفظة الممتازة يجرسها الموسيقي :

« والآن إذ أسمع الرياح تعتول » ( بدل تعول )

« أنت تهلم بي أيها النهر » ( تقول لي هلمّي )

لكن حرصها على أناقة العبارة لا يمنعها من اقتباس الألفاظ الدارجة ، « العامية » ، إذا رأتها حسنة الوقع وأكثر مناسبة من سواها .

تقول في رسالة لها الى جبران : « أنت « قيدتني » مذنبه في دفترك » وفي ص ٦٤ من « باحثة البادية » : « هو رسم جولة الفكر منهم مع ما تتضمنه من وخز « يفلفل » الأحاديث والمناقشات فيحميها من الملل » . وفي ص ٨٩ : « وهو بالجملة مصري ، أسمر ، « نغش » ، جذاب » . وكذلك في ص ٥٣ من المصدر نفسه : « أما الآن وقد فهمت بهذا الإلحاد الاجتماعي الهائل ، فقد « نمثرني » أهل العصر وحشروني في قصيلة المتقهقرين والرجعيين » .

وفي إحدى قصصها تقول : « إذا تحتم « الأكسيدان » accident فليكن بعد وصولي الى البيت » .

تلجأ أحيانا الى خلق مفردات جديدة أو تعريب كلمات لا وجود لها في العربية . تستعمل لفظة « مكنزة » <sup>(١)</sup> تعريب

---

(١) في مقال « ميجيل دي أونامونو » الوارد في « باقات من حدائق مي »

«mécanisation» بدلاً من «مكننة» التي نستعملها اليوم .

وفي مقالها عن الموسيقى <sup>(١)</sup> تأتي بلفظة «تساوُق» لتقابل «آرموني» أو اصطحاب . وفي كتاب «المساواة» تستعمل لفظة «رِقّ» بمعنى «Servage» «Serfdom» <sup>(٢)</sup> .

ويعجبني استعمالها كلمة «جلباب» بمعنى «قميص النوم» <sup>(٣)</sup>

عبارتها تمتاز بالتنسيق الذي يضمن لها جمال النغم والایقاع . يُسَعِّفُهَا عَلَى ذَلِكَ قُوَّةُ إِحْسَاسِهَا الْمَوْسِيقِي وَثِقَافَتِهَا الْفَنِيَّةُ . فَالْقَارِئُ يَتَرَنَّمُ بِعِبَارَتِهَا ، كَمَا تَرَنَّمْتُ مِي بِاسْمِ بَاحِثَةِ الْبَادِيَةِ فِي أَوَّلِ رِسَالَةٍ وَجَّهْتُهَا إِلَيْهَا . وَهِيَ لِهَذَا الْغَرَضِ تَلْجَأُ إِلَى التَّوَازُنِ فِي عِبَارَاتِهَا ، بِعَيْتٍ تَتَعَاقَبُ أَزْوَاجاً مِثَالُةَ التَّرْكِيبِ :

« ما أسرع ما تتمزق أثواب الورود ، وما أتعس القلوب  
الشديدة التأثر » .

« طائر صغير أحبيته شهوراً طوالاً . غرَّد لكآبتي فأطربها .  
ناجى وحشتي فأنسها . غنى لقلبي فأرقصه . ونادم وحسدي  
فملأها ألحاناً » .

(١) « بين الجزر والمد » م . س . ص ١٢٠ .

(٢) م . س . ص ٥٠ .

(٣) قصة « الحب في المدرسة » ص ١٠٧ من « باقات من حدائق مي »



أو تتعاقب متوازنة من غير أن ترتبط بعدد :

« نورُ فكر أضاء ، ثم اضمحلَّ في لجج العدم . وردة أثير  
تنفست ، فعطّرت ، وأسكرت ، ثم ذبلت » .

« صديق صغير غرّد فأطربني ، وسكن في جوارِي فأَنسني ،  
ولما مزّق قلبي العالم بشرّه وصفائره ، غنى طائري ، فأَنساني  
قبح القباحة ، وجعلني أفكّر في كل حسن بهي » (١) .

من وجوه الايقاع ، استعمالها للتعداد :

« من القيم والأودية ، من الصخور والينابيع ، من الأحراج  
والمروج ، تتعالى معاني بلادي في الضحى . وعند الشفق تتكامل  
أرواح الأشياء وتتجمهر كأنها تتداول في إنشاء عوالم  
جديدة » (٢) .

وافتنانها في الرصف أو التقديم والتأخير في أجزاء الجملة :

« بلطف النسيم ، امتدّت اليد إليّ » (٣) .

« هوذا مائج على الآفاق لألاء المواسم والأعياد . ومن أحشاء  
المدينة يصعد هزج النشوة والظفر » (٤) .

(١) من « دمة على المفرد الصامت » « ظلمات وأشعة » م. م. س.

ص ٣٣ - ٣٨ .

(٢) من « أين وطني » م. ن. ص ١٠٦ - ١١٢ .

(٣) و (٤) م. ن. ص ٤٣ و ٥٨ .

وفي التكرار الذي نلاحظ لها فيه فنوناً مستحبة . في بداية مقالها : « حول قدمي أبي الهول » تقول :

« الأفق واسع واسع . والليل عميق عميق » .

وفي مناجاة السفينة الغريقة : « لوزيتانيا . لوزيتانيا » .  
وفي مسيرها « نحو مرقص الحياة » :

« وتمزّق السموم وريقات زهرة رأسي . زهرة الياسمين التي  
زنت بها رأسي » .

في تضاعيف المقال ، تكرر أحياناً جملة أساسية ، أو عبارة  
تريد لفت النظر إليها ، وتلك طريقة جبران . من ذلك تكرارها  
للعبرة الساخرة ، في مقال « السهرات الراقصات » :

« ففتل شاربيه بأناقة . ورنّا إليها بإعجاب . ثم انحنى  
شاكراً لأنه متواضع » .

كما تكرر العبارة الحكيمية في مقال « ليلة عيد النصر » :  
« عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : عامل الحزن وعامل السرور .  
على أن قطرة حزن في عمقها توازي بحر سرور في اتساعه » .

\* \* \*

من خصائص أسلوبها ، ولعها بالإشارات والاقتباسات التي

تزيد معانيها غنى وتنوعاً . منها إشارات الميثولوجيا اليونانية في  
« نشيد نهر الصفا » .

« هنا اجتمعت بلابل أورفيوس لتعيد ذكرى أوريديس  
ذات القلب الكسير » .

« هنا قامت الأشباح بين أجفان المياه » .

« .. وعذارى الطرب تستخرج من عناقيد « باخوس » خمراً  
تسكر به الآلهة » .

وفي مقال : « نحو مرقص الحياة » : « لئلا تلتطخ الأرواح  
نعلي الاغريقي الابيض » .

ترد لها أحياناً إشارات فلكية : « من هو هذا الشخص ؟  
ومن أي مذنب مجهول في فيافي الفضاء هبط علينا ؟ » ( من  
« باحثه البادية » . )

واقتراسات من الشعر القديم : « فاغترفت منها هذه المرة  
برضى وإقرار بالمعروف ، كأني من منهل فضله أغترف » . ( من  
رحلات السندباد الثاني ، الرحلة الثانية ) . في هذه العبارة  
اقتباس من بيت عربي قديم :

من بحر فضلك أغترف      وبفرط جودك أعترف

وفي تصوير طريف « لبعض النقدة العصريين » تستوحي

العبارة العربية المشهورة المنسوبة لعيسى بن عمر ، كما يقول صاحب « محيط المحيط » ، حين سقط عن حماره فاجتمع عليه الناس : « ما بالكم تكأ كأتهم علي كنتكأ كؤم علي ذي جنسة ؟ افرنقوا عني ! » . تقول مي :

« يفكّني أن أتخيّل أحياناً أن جميع اصطلاحات الشئ والإطراء أضربت عن العمل ، هي الأخرى ، حين ما ، فتكأ كأت في مكان واحد متماسكة ، متجمّدة . ففاجأتها قنبلة فائئة . فافرنقت متطائرة شظايا ملتبهة . تقمّصت بفضل بعض النقدة « العصريين » قذفاً وطعناً وتهجّماً » (١) .

وهناك الإشارات التاريخية والعلمية والدينية والأدبية التي تحشدها حشداً في كثير من مقالاتها . راجع مثلاً : « نشيد نهر الصفا » ، و « عند قدمي أبي الهول » في « ظلمات وأشعة » .

وفي الفصل الذي تحدّثت فيه عن مي « المقالة » أوردتُ أمثلة تدل على حبها للنكتة والقول الساخر . هذه الميزة التي يبدو أنها أصيلة في طبعها .

أما التصوير وابتداع الاستعارات والتشابه ، فلها فيه

---

(١) من نقد مي لعائشة التيمورية في ديوان « حلية الطراز » ، القاهرة نشر « دار الكتاب العربي » ١٩٥٢ ، ص ٣٦ .

طرائف تشهد لها بقوة الابتكار . تقول في وصف « باحثة البادية » :

« كأنما هي جوهرة ذات سطوح شتى ، تلمع في كل منهن ألوان جذابة وأشعة فتانة ، بينما عنصر الجوهرة يظل واحداً » .

وفي تعريف النقد تقول بأسلوبها الفكاهي (١) :

« ليس النقد بالبلاغ العسكري يعلن الأحكام العرفية ، ولا هو بالمنشور الأسقي يحرم عضواً من شركة المؤمنين وشفاعة القديسين . ولا هو بأمر المعلم القروي ( على الطراز القديم ) ، غضب على تلميذ مسكين لم يحفظ أمثولته كما ينبغي ، فحظر عليه أن يأكل أو يشرب أو يتحرك أو يتنفس بغير سماحه . كلا . ليس النقد بشيء من ذلك . إن هو إلا نظرة فرد معرض للخطأ في عمل فرد آخر معرض للخطأ ، يختلف عنه ميولاً وتأثرات وكفاءة ووراثة » .

في وصف مجلس فتيات في الجامعة المصرية :

« كان يتخلل هذه الثروة النسائية ضحك طويل يدب ديبه » .

وفي ردّها على كاظم الدجيلي : « اسم قصصي حماسي ، طويل

---

(١) من نقدها لديوان « عائشة التيمورية » م . س .

كالشواطىء ! » .

وتقول واصفة ثوب فتاة عصرية : « فستانها ذو الزرقة  
الكهربائية » .

وتبرع في الوصف على أنواعه . الوصف الشعري للعيون :  
« تلك الأحداق القائمة في الوجوه كتماويذ من حلك ولجين ،  
« تلك المياه الجائلة بين الأشجار والأهداب كبحيرات  
تنطّق بالشواطىء وأشجار الحور .

« العيون . ألا تدهشك العيون ؟

« العيون الرمادية بأحلامها .

« والعيون الزرقاء بتنوّعها .

« والعيون العسلية بحلاوتها .

« والعيون البنية يجاذببتها .

« والعيون القائمة بما يتناوبها من قوة وعذوبة .

« جميع العيون ،

« تلك التي تذكرك بصفاء السماء .

« وتلك التي يركد فيها عمق اليوم .

« وتلك التي تريك مفاوز الصحراء وسرايها ،

« وتلك التي تعرج بخيالك في ملكوت أثري كله بهاء .

« وتلك التي تمرّ فيها سحائب مبرقة ، مهضبة ،

« وتلك التي لا يتحول عنها بصرك إلا لبحث عن شامة في  
الوجه ... » .

وفي موسيقى الأجراس في لبنان ، تقول من رسالة الى أمين  
الريحاني ، كتبتها سنة ١٩٣٩ ، وربما كانت آخر رسالة لها :

« فأين منها شذو الأجراس اللبنانية . ذلك الشذو الشرقي  
البلدي الديمقراطي ، ينطلق من كل حدب في الأعالي والأداني ،  
ويحنّاز كل حيّز من أقطاب الأفق ، مازجاً أصداء القيم  
بأصداء الأودية ، حتى يملأ الهواء عزيفاً وحنيناً ساعات طويلات ،  
وينسج من شتيت أنغامه سيمفونيا لبنانية ولا سيمفونيات  
بتهوفن » .

ومنها الوصف الفكه لسهرة في بيت الريحاني ، الفريكة :

« .. السهرة حيث تُقبل أنت والست سعدى ، والمصطافون  
من الصادريين ، ومعكم هيئة أركان حربكم . العفريت وتوابعه ،  
( أم أنتم هيئة أركان حربيه ؟ ) يتقدمكم مصباحكم « اللوكس »  
معلنًا عن قدومكم الميمون ، وأنتم بغد داخل الدار ، قبل أن  
تخطوا في الخارج خطوة واحدة ، كأنما ذلك المصباح التاريخي  
رمز لفكر الريحاني ، ما إن اتّجه ذلك الفكر الى ناحية ما إلا

شقّ في الفضاء أخدوداً رحيباً من النور المنبىء بوقود مركزه  
المتحرك .

( من رسالة الى الريحاني سنة ١٩٣٩ )



تلك هي أهم خصائص شاعرية مي التي وصفها خليل مطران  
إذ قال : « إن شاعريتها في العربية كُتبت بطريقة النثر الفني .  
وهذا هو ما اختصّت به في أسلوب كتابتها الى أن ماتت ،  
فتكتب مصوِّرة وملحّنة ومقسّمة للكلام على تقاسيم شعر خفي  
تتحرك به النفس » (١) .

إلا أننا إذا أقررنا لمي بالعبقريّة الكتابية ، لا يفوتنا أن نشير  
إلى أثر أدباء المهجر ، ومنهم جبران ، في توجيهها شطر  
الموضوعات الميتافيزيقية ، وفي اعتمادها أسلوب المناجاة في بعض  
مقالاتها . مثلاً : « نشيد نهر الصفا » ، « يا سيدة البحار » ،  
« عند قدمي أبي الهول » ( في « ظلمات وأشعة » ) . وكذلك في  
التزامها التقطيع الموسيقي وافتنانها في التكرار . في ميلها إلى  
الإبهام الذي نلمحه في مقالات سبق عرضها ( « أيها الغريب » ،

---

(١) « مي أدبية الشرق والعروبة » م . م . ص ٢٣٩ .



« عند منعطف السبيل » ( في فصل مقالاتها الحميمة . كما في استعمالها الألفاظ المجردة الكونية ، ومزجها المجرد بالمحسوس .  
« نظر إليّ نظرة وراءها محافلُ الأجيال ومواكب الدهور .  
فجلست في ظل سكوته . ولم يكن سكوته سوى سكوت  
الفضاء المملوء بحفيف الأفلاك . وانبسطت دوائر فكره ،  
وترامت قليلاً قليلاً ، فاحتوت هالة كياني . واجتذبتني منه  
القوة السحرية الى سويداء قلب الوجود ، حيث الليل الأليل  
يفضي إلى برج الأضواء » . ( « السهرات الراقصات » ) .

« واستيقظت في الغد ، فأذهلني أن أشعر بترضرص في  
روحي وبطعم الفناء في فمي . وبأثقال تبيع على صفحة وجداني  
كأنها أحمال الدماء » . ( المصدر نفسه ) .

ولا يخفى أن تأثير الأدب المهجري يمتزج عندني بتأثير  
الأدب الرومنطقي الذي نهلت من معينه يوم كانت طالبة على  
مقاعد الدراسة . فموضوعاتها الوجدانية هي موضوعات  
الرومنطقيين ، وتأملاتها تأملاتهم . مثلهم تمجّد الألم ، تناسجي  
الطبيعة والآثار ، يشوقها ذكر الوطن ، يهزّهم بكاء الطفل ،  
تذرف دمة على المغرّد الصامت ، وتتغنّى بأسرار العيون .

وقد اتضح لنا ، في ما استعرضناه من مقالاتها وخواطرها  
الحميمة ، أن أسلوبها يستوحي الرومنطقيين في تخطّي الواقع  
واستخراج الكلّي من الجزئي . فالتجربة الذاتية المحدودة تفتق

خيالها الخصب بحيث يتدفق بالمعاني ويسوقها الى التفكير على مستوى عالمي .

في المقالة التي وصفت فيها زيارتها لمحكمة الجنايات ، تتحدث عن انطباعاتها بدقة وبعمق تم عن تأثر بالغ . تعارض بين خصمين : القاضي والمتهم اللذين تؤلف بينهما صفات كثيرة ، يشترك فيها البشر منها باعدت بينهم المراتب والفروق . ثم تتسع رؤياها لتشمل أحكام الجور والتعذيب التي يصدرها القضاة ظلماً في جميع محاكم العالم :

« تلاشى فجأة ما يحيط بي واتسع القفص ، وأضيفت إليه جميع الأقفاص في جميع محاكم العالم ، وقد حُشر فيها الألوف والملايين . ورأيت في عيون الجناة صور جنائياتهم ، وفي عيون الأبرياء صور براءاتهم . وفي جميع العيون أشباح الخوف والفرع . وسمعت الأحكام على العبيد وعلى الملوك . على المظلومين وعلى الظالمين . وترأت لي السجون بغموضها والأشغال الشاقة بذلتها وآلات التعذيب بهولها . . . وفي هذه الغرفة التي كانت تبسم منذ هنيئة ، سمعت صلصلة السلاسل ، وقمقة القيود . ولحت أحكام الإعدام تنفذ على لابسى البذلة القرمزية . »

بعد هذه الوثبة الخيالية ، تأتي مي بصورة تبرز فيها التعارض بين شقاء الإنسان وهناء الطبيعة :

« عند العمود الضخم المنتصب أمام المحكمة ، رفع أحد

المتَّهَمين بصره ، إلى افريز العمود الأعلى ، وإذا بطائرين قد  
وقفنا جنباً الى جنب ، يُنشدان أنشودة الحياة والحب  
والحرية (١) .



وبعد ، أود أن أختم هذا الفصل الطويل بكلمة موجزة  
لأحمد حسن الزيات ، وردت في « المقتبس من وحي الرسالة » :  
« أما بعد فقد قال بشار لبعض جلسائه ذات يوم : ما سمعت  
شعر امرأة قط إلاّ أحسست فيه الضعف . ف قيل له : أو كذلك  
الخنساء ؟ فقال في لهجة الفطن المحترم : تلك فوق الرجال .  
» ونحن نقول في مي ما قال بشار في الخنساء ونزيد عليه أن  
مي هي الأدبية الكاملة في تاريخ الأدب العربي كله » (٢) .

---

(١) « باقات من حداثق مي » ، م . س . ص ١٣٦ - ١٣٩ .

(٢) « المقتبس من وحي الرسالة » ، مكتبة الشرق ومطبعها في حلب ،  
لا تأ ص ٢٣٢ - ٢٣٥ . و « الرسالة » هي المجلة المصرية التي كان يصدرها  
أحمد حسن الزيات ، وقد خصَّتها مي بعدد من كتاباتها ، سنة ١٩٣٥ .

## كلمة ختامية

نبغت مي في عهد تفجّر وانطلاق أدبي، فكان توهجها من توهج عصرها . برهنت على أن الأديب لا ينسلخ عن عصره، ولا يمكنه أن يتوهج في عصر منطفئ .

كان أدبها حصيلة التفاعل والانصهار بين ثقافتى الشرق والغرب . ونموذجاً للتجديد الموفق في الموضوع والأسلوب .

عبّرت عن أماني عصرها وحاجاته وأحياناً جاوزت العصر وشارفت المستقبل البعيد .

عالجت موضوعات الساعة . ساندت النهضة النسائية بخطبها وقلمها وعطائها الفكري ونضالها الاجتماعي . خاضت موضوعات كانت في عهدها بعيدة عن مستوى الجماهير ويكاد يتعثر فيها الاختصاصيون ، منها : موضوع المساواة ، الديمقراطية ، الاشتراكية ، هنري برغسن .

مارست المقالة بأنواعها ، عالجت الخطابة والشعر المنثور ،

وفي أحيان قليلة القصة والمسرحية .

أسلوبها ، بحثياً كان أم شعرياً ، مثال للتجديد المبدع ،  
الملتزم بحسن الذوق . وهو من الأساليب التي تثبت للزمن .  
يستمتع به القراء ويقتدي به الطلاب .

وكما كانت مي في تفوقها ورفعة نتائجها وليدة عصرها الغني  
بالأدباء اللامعين ، كانت كذلك ضحية عصرها الفقير بالروح  
العلمية ، المتخلف في ميدان الطب والأبحاث العلمية العميقة ،  
الخاضع لتقاليد غارقة في القدم . تعتبر الاضطراب النفسي أو  
العصاوي جنوناً ، وتصم صاحبه بوصمة عار تزيد في شقائه ، وقد  
تقف حائلاً دون شفاؤه .

بانطفاء مي ، انقضى عهد العماقة . انطفأت البسمة عن وجه  
الأدب العربي . وطلع علينا أدب كالح الوجه ، ينذر بالعواصف  
والكوارث . أدب التشاؤم والضياع . أدب التمرد والعبث  
واللامعقول .

والكابوس الذي جثم بقوة على صدر العالم العربي ، جثم على  
صدر الأدب .

\* \* \*

## من أقوال حي المأثورة

رأيها في الحب :

الحب الذي يجعل العالم هيكلاً تخشع فيه النفوس فتجثو للعبادة والصلاة والاتحاد الروحي مع جميع قوى الكون هو هذا الذي نعينه عندما نتكلم في الحب ونعظم عواطف الحب .

في الصداقة :

ان الصداقة تزرع الحياة أزهاراً .

في الثورة :

الثورة ككل جرأة . في وقتها ومكانها عبقرية وانتصار . وفي غير ذلك حماقة واندحار .

في النقد :

النقد وحي لأنه يدرك الوحي ويحتضنه . وحرية لأنه لا تميز في العبودية .

النقد من أخص خواص عصرنا ، في السياسة ، والإدارة ،  
والقانون . والتاريخ ، والآداب ، والاجتماع ، نرى النقد شائعاً  
بمختلف اللهجات والأساليب . حتى الاكتشافات العلمية وانقياد  
عناصر الطبيعة لخدمة الإنسان جاءت عن طريق النقد .

لا يقوم الحاضر إلا على قاعدة الماضي . فليذكر هذا أولئك  
الذين يقولون بالهدم المطلق .

نحن في حياتنا الأدبية الحاضرة أشبه ما نكون بالعبيرانيين  
في صحراء التيه فأنسى لنا الدليل الخبير يسير أمامنا في النهار  
عموداً من السحاب وفي الليل عمود نار يُضيء لنا ؟

حتى ولو سار العمود أمامك يهديك سواء السبيل فلا بد ان  
تكون لنفسك المصباح والدليل .

### في المرأة :

من ظريف النكات في الثناء على المرأة الذكية قولهم : « إنها  
تجاري الرجال » . ولماذا لا تكون مجارية نفسها التي تكتشفها  
كل يوم ؟

يجب أن يُبدأ بتعليم المرأة لأنها الأكثر جهلاً . يجب إصلاحها  
السريع ليتيسر إصلاح الرجل . يجب أن يباشر تحرير المرأة  
كيلا يكون المتغذون بلبنها عبيداً . يجب أن يحسر غشاء

الخزعبلات والأوهام عن عينيها ليدرك الناظر فيها من زوج وأخ  
وولد أن معنى الحياة عظيم .

### في السعادة :

سعادة الإنسان طوع إرادته . فالرجل الشجاع الذي يعرف  
كيف يجعل كأس آلامه حلوة المذاق ويحوّل غذاءه الحقيق إلى  
أفخر المأكّل ، ويجعل من الماء خمرته المعتقّة بلونها وصفائها .  
ومن مضجعه الحشن فراشاً وثيراً . ويعرف أن يُحلّ الأمل  
بحل اليأس .

قضبان النوافذ في السجن تتقلب أوتار قيثارة لمن يعرف أن  
ينفث في الجهاد حياة .

### إن للأماكن أرواحاً

أنا الآن في غرفة صغيرة تابعة لمكتبة الجامعة . وليس في هذه  
الغرفة من الكتب إلا ثلاثة أجهل اسمها ولغتها لأنها خفيت تحت  
كتاب رابع من تأليف مارمونتل وهو أديب فرنسي لم يتفوق  
في موضوع من الموضوعات الكثيرة التي عالجها بل اكتفى بالاجادة  
فيها جميعاً إجادة معتدلة ، تاركاً البراعة والتفوق لاستاذيها  
الكبيرين فولتير وروسو .

إن في هذه الغرفة الصغيرة روحاً تناجيني ومراً أطمع في



اجتلاء غوامضه . كل ما يحيط بنا في الحياة سر ولغز ولكن  
حواسنا المثقلة بأحمال المادة تحجب عنا الأنوار الكامنة فلا نرى  
للأشياء وجوداً ولا ندرك لها حقيقة إلا بقدر ما تتفق مع  
أطماعنا وشواغلنا .

صدق القائل إن للغرف أرواحاً .

ما هي أمنيّتي في الحياة ؟

أيمكن أن تحوي الحياة أمنية واحدة ؟ إن الأمانى تتغير مع  
الوقت . وكل أمنية هي العظيمة ، بل هي الواحدة العظمى  
عندما تقطن جوارحنا وتستولي على كيانتنا . وهل تصدق أن  
المرء يبوح للناس بأعظم أمانيه ؟ قد يبوح ببعضها في هذه  
المناسبة أو تلك ولكن الأمنية الكبرى تظل سرّاً مكتوماً بينه  
وبين نفسه . ولو فقد كل شيء آخر ، لبقيت تلك الأمنية رأس  
ماله الخاص الملاصق لأخفى ما يخفي في قدس أسرارهِ وإذا  
أبيت إلا أن أبوح بأمنية ما فهي أن تظل الأمانى متجددة في  
نفسي ما دمت حية ، وأن أموت يوم أصبح غير قادرة على  
التمني .

( 'جمعت هذه المقتطفات من كتاب «مي في مذكراتها»

نشر جميل جبر ، دار الريحاني ، بيروت ) .

# مؤلفاتي \*

## في الفرنسية

- ١ - « أزاهير حلم » « Fleurs de Rêve » بإمضاء ايزيس كوبييا ، نشرت في القاهرة سنة ١٩١١ مع « يوميات عائدة » في الفرنسية كذلك . ترجمت مي قسماً منها ونشرتها في « الهلال » ١٩٢٤ ، وترجم الباقي جميل جبر ونشر المجموعة في العربية ، في دار بيروت ، سنة ١٩٥٢ .

## في العربية

- ٢ - « باحثة البادية » نشر المقتطف ، ١٩٢٠ .
- ٣ - « سوانح فتاة » ، دار الهلال ، ١٩٢٢ .
- ٤ - « المساواة » بحث اجتماعي ذيئلته بتمثيلية عنوانها : « يتناقشون » ، نشر دار الهلال ١٩٢٢ .
- ٥ - « ظلمات وأشعة » ، دار الهلال ١٩٢٢ .

---

\* جُمعت مؤلفات مي زيادة في مجلدين ، في طبعة أنيقة - منشورات مؤسسة نوفل - بيروت .

- ٦ - « كلمات وإشارات » مجموعة خطب ، دار الهلال ١٩٢٢ .
- ٧ - « عائشة تيمور ، شاعرة الطليعة » دار الهلال ١٩٢٤ .  
نشر أيضاً في « حلية الطراز ، ديوان عائشة التيمورية »  
القاهرة ، مطبعة دار الكتاب العربي ، ١٩٥٢ .
- ٨ - « وردة اليازجي » ، نشر المقتطف ١٩٢٤ .
- ٩ - « الصحائف » ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٢٤ .
- ١٠ - « بين الجزر والمد » ، دار الهلال ١٩٢٤ .

### كتبها المترجمة

- ١ - « الحب في العذاب » لكونان دويل Conan Doyle  
عن الانكليزية . نشر سنة ١٩١١ .
- ٢ - « رجوع الموجهة » للكاتب الفرنسي برادا نشر  
سنة ١٩١٢ .
- ٣ - « ابتسامات ودموع » أو « الحب الألماني » عن  
الألمانية لفردريك ماكس مولر ، دار الهلال ١٩١٢  
طبعة أولى ، ١٩٢٤ طبعة ثانية .

### رسائل مي

- « رسائل مي » قدّم لها جميل جبر ، دار بيروت ١٩٥١ .

## كُتَابَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ لِمِي لَمْ تُجْمَعْ فِي كِتَابٍ

- ١ - « غرفة في مكتبة » .  
« المقتطف » ج ٥٣ ص ٤٦٥ سنة ١٨ .  
( نشرت في « باقات من حدائق مي » لفاروق سعد ،  
ص ٩١ - ٩٧ ) .
- ٢ - « العقل والقلب » .  
« المقتطف » ، أكتوبر ١٩١٨ ج ٥٣ .  
( مقتطفات منها في « باقات من حدائق مي »  
ص ٤٧٢ ) .
- ٣ - « هنري برغسن » .  
« المقتطف » ، في عددي آب وأيلول ١٩١٨ .
- ٤ - « غاية الحياة » محاضرة ألقته في الجامعة المصرية  
نيسان ١٩٢١ ، نشرت في المقتطف ج ٥٨ ، ١٩٢١ ،  
ثم في كتيب صغير .

- ٥ - « الريحاني وفضل المشرق »  
« المقتطف » ، مارس ١٩٢٢ .
- ٦ - « علي الصدر الشفيق » مسرحية نشرتها « الهلال »  
١٩٢٣ .
- ٧ - « حكاية السيّدة التي لها حكاية »  
( في « باقات من حدائق مي » ص ٦٧٩ ) .
- ٨ - « لدويج فان بتهوفن »  
« المقتطف » ، مارس ١٩٢٧ ، ابريل ١٩٢٧ .
- ٩ - « المجرم القديم » قصة مقتبسة عن مسرحية للشاعر  
الألماني رينر ، المقتطف ، فبراير ١٩٢٨ .
- ١٠ - « جبران خليل جبران » بمناسبة صدور كتابه  
الانكليزي « يسوع ابن الانسان »  
المقتطف ج ٢٧ ، ١٩٢٩ .
- ١١ - « الشمعة تحترق » ، قصة نشرت في « الهلال » ١٩٣٣  
ثم في مجلة « المرأة الجديدة » ، كانون الاول ١٩٤٩ .
- ١٢ - « الحب في المدرسة » ، قصة نشرت في « الهلال »  
نوفمبر ١٩٣٤ وفي « المكشوف » بيروت ، عدد ١٤٨ ،  
أيار ١٩٣٨ .

- ١٣- « فضل المرأة على المدنية الحديثة »  
المقتطف ج ٨٤ ، ١٩٣٤ .
- ١٤- « نشيد الى الشرق »  
المقتطف ج ٨٥ ، ١٩٣٤ .
- ١٥- « ميجيل دي أونا مونو » مقال نقدي ،  
المقتطف ، فبراير ١٩٣٥ .
- ١٦- « أمير جلوا » ، بمناسبة انقضاء خمسين عاماً على وفاة  
هوغو ، مجلة « الرسالة » ١٩٣٥ .
- ١٧- « بيراندلو ومسرحياته الوجيعة » مقال نقدي ،  
المقتطف ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٣٥ .
- ١٨- « السر الموزع » قصة ، مجلة « الرسالة » ١٩٣٥ .
- ١٩- « مساجلة الرمال » نثر شعري  
مجلة « الرسالة » نيسان ١٩٣٥ .
- ٢٠- « ارتياب » Doute  
قصيدة نشرت منظومة بالفرنسية ومنشورة بالعربية .  
مجلة « الرسالة » ١٩٣٥ .

- ٢١- « هوذا الربيع » ، نثر شعري  
مجلة « الرسالة » ، مايو ١٩٣٥ .
- ٢٢- « رسالة الأديب الى الحياة العربية » محاضرة نشرتها  
جمعية « العروة الوثقى » في الجامعة الاميركية  
بيروت ، آذار ١٩٣٨ .
- ٢٣- « العم أبو الحسن يستقبل » .  
أقصوصة نشرت في مجلة « الحناء » بيروت ، في ١٨  
شباط ١٩٧٧ ، عدد ٧٤٦ .
- ٢٤- « أمام ينابيع رومة »  
مقالة وردت في رسالة من مي للعقاد نشرت في « لمحات  
من حياة العقاد » ( نشر دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٠ )  
ونقلت في « باقات من حداثتي مي » لفاروق سعد  
ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

# مراجع البحث

- ١ - جبر ، جميل « مي في حياتها المضطربة »  
دار بيروت ١٩٥٣ .
- ٢ - جبر ، جميل « مي زياده في حياتها وأدبها »  
المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٠ .
- ٣ - جبر ، جميل « مي وجبران »  
دار الجمال ، مطابع فضول ،  
١٩٥٠ .
- ٤ - حسن ، محمد عبد الغني « مي أدبية الشرق والعروبة »  
دار عالم الكتب ، القاهرة  
١٩٦٣ .
- ٥ - سعد ، فاروق « باقات من حداثتي مي »  
نشر زهير بعلبكي ، بيروت  
١٩٧٣ .



٦ - سكاكيني ، وداد « مي في حياتها وآثارها »  
دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .

٧ - شرارة ، عبد اللطيف « مي زياده »  
سلسلة « أدباؤنا »  
دار صادر ، دار بيروت لانا .

٨ - الشناوي ، كامل « الذين أحبوا مي »  
دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

٩ - فهمي ، الدكتور منصور « محاضرات عن مي »  
منشورات معهد الدراسات  
العربية العليا  
الجامعة العربية ، القاهرة .

# مجلات

١ - مجلة « المرأة الجديدة » لصاحبتها جوليا طعمه دمشقية :  
كتاب « مي في سوريا ولبنان »  
وصف الحفلات التكريمية التي  
أقيمت لمي أثناء زيارتها لوطنها  
صيف ١٩٢٢ .

٢ - مجلة « صوت المرأة » ، عدد خاص بمي زياده ، كانون  
الاول ١٩٤٩ .



## مقالات عن مي نشرت في الصحف والمجلات

١ - البستاني ، فؤاد افرام :

« أثر مي في النقد الأدبي الحديث »  
مجلة المكشوف عدد ١٤٨ ، أيار ١٩٣٨ .

٢ - الجندي ، أنور

مقالة في « أضواء على الأدب المعاصر »  
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،  
القاهرة ١٩٦٨ .

٣ - حبيش ، فؤاد

« أين وصلت ثقافتنا في سلم الحضارة »  
مجلة المكشوف ، عدد ١٤٨ ،  
أيار ١٩٣٨ .

٤ - حداد ، فؤاد

« مي الشاعرة الفرنسية في « زهرات حلم »  
مجلة المكشوف عدد ١٣٩ ، ٤ آذار  
١٩٣٨ .

٥ - دياب ، عبد الحى

« المرأة فى حياة العقاد »

دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠

ص ٦٣ - ٦٩ .

٦ - الريحانى ، أمين

« قصة مى ، اعتراف واستغفار »

ملحق جريدة النهار ٢٤/١٠/١٩٦٥

ومجلة « الحسنة » عدد ٥٦١ ، ٢٦

أيار ١٩٧٢ .

٧ - الزيات ، أحمد حسن

« من وحي الرسالة » ج ٢ ص ٣٦٣ .

٨ - الطناحي ، طاهر

مقالات فى « الهلال » أعداد ديسمبر

١٩٤٧ ، مايو ١٩٤٨ ، يناير ، فبراير ،

أبريل ، ديسمبر ١٩٦٢ ، أبريل ١٩٦٤ .

٩ - الطناحي ، طاهر

« دموع الحب بين الأنسة مى والعقاد »

الهلال ٧ يوليو ١٩٦٤ .

١٠ - عبود ، مارون

مقال عن مي في « جدد وقدماء »  
دار الثقافة ، بيروت .

١١ - العقاد ، عامر

« لمحات من حياة العقاد »  
دار الشعب بالقاهرة ، ١٩٧٠ ،  
ص ١٨٧ - ٢٣٤ .

١٢ - العقاد ، عباس محمود

« رجال حول مي »  
الهلل عدد آذار ( مارس ) ١٩٦٢ .

١٣ - العقاد ، عباس محمود

تحليله لكتاب « الصحائف » في  
« مطالعات في الكتب والحياة » .  
دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٦ .

١٤ - عواد ، توفيق يوسف

مقال عن « مي » في جريدة « النهار »  
١٩٣٨ نشر في كتاب « فرسان الكلام »  
دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٨ .

١٥ - الكيالي ، سامي

مقال عن (مي) في مجلة الحديث ، عدد  
٦ ، ١٩٣٨ .

١٦ - موسى ، سلامه

« مي زياده » مقال نشر في الهلال ،  
نيسان ١٩٢٤ .

١٧ - الوكيل ، الدكتور العوضي

« مي ومحبتوها »

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة  
المكتبة الثقافية عدد ٢٨٤ ، تموز ١٩٧٢ .

## المحتويات

صفحة	
٧	١ - مقدمة
١١	٢ - لمحات من عصر مي
٢٧	٣ - شخصية مي
٤٤	هل كانت مي معقدة ؟
٥٩	ظاهرة العصاب عند مي
٨٤	حلقات مفقودة
	٤ - حياتها الأدبية
٩٥	أ - المقالة
١٠١	ب - الخطبة
١٠٩	ج - مي والنقد الاجتماعي
١١٠	(١) « المساواة » وموضوعات أخرى
١٢٧	(٢) « باحثة البادية »
١٤٥	د - نقد أدبي : عائشة التيمورية
١٥٥	هـ - نقد لغوي وفني



١٦٧	و - محاولات قصصية ومسرحية
١٧٧	ز - خواطرها الجميمة
١٨٧	ح - اسلوب مي

٢٠٩	هـ - كلمة ختامية
-----	------------------

٢١١	من أقوال مي المأثورة
-----	----------------------

٢١٥	مؤلفات مي
-----	-----------

٢١٧	كتابات متفرقة لمي لم تجمع في كتاب
-----	-----------------------------------

٢٢١	مراجع البحث
-----	-------------

\* \* \*







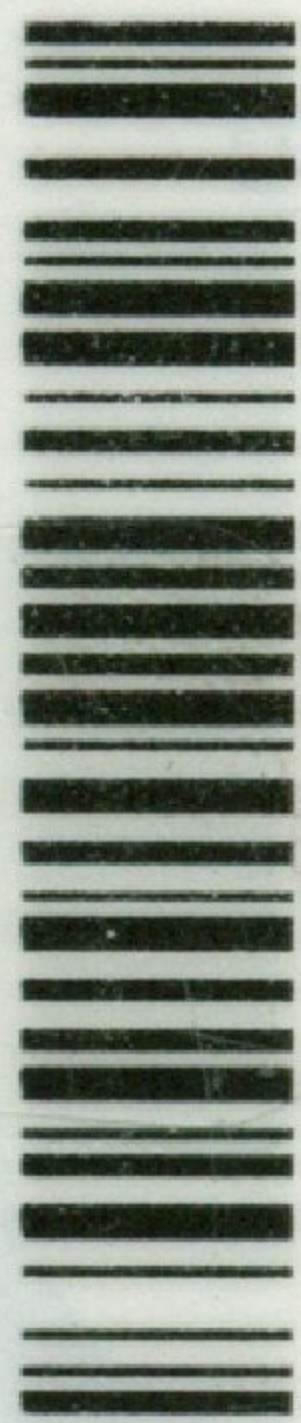


محيّة زيادة :

## النوهج والأفول

راجعت المؤلفات جميع مؤلفات محي من شعرية  
ونثرية . ثم طالعت ما كتب عنها وما قيل فيها .  
فكان هذا الكتاب ثمرة دراسة تحليلية لشخصية  
محي وأدبها على ضوء النظريات العلمية الحديثة  
وأصول النقد الأدبي الحديث ، مع محاولة  
في تقييم إنتاج محي والإشارة إلى أسرار تفوقه  
واستمرار تأثيره ، بأسلوب فيه من الموضوعية  
والتحقيق وإثبات المراجع ما يجعله مرجعاً  
محي ومتذوقي أدبها .

Bibliotheca Alexandrina



1062754

Rs 14